عاموس غولدبرغ *

الكولونيالية والمحرقة اليهودية: صدام بين روايتين

كما أشار المؤرّخ تشارلز ماير،[1] فقد نشأت وتأسّست، في النصف الثاني من القرن العشرين وتحديدًا قُبيل نهايته ، في الغرب وعداه روايتان تاريخيّتان كبيرتان جاءتا لشرح طبيعة الحداثة، وكلتاهما تحكيان قصّة كوارث تاريخية. إحداهما هي قصّة المحرقة اليهودية واللاسامية، والأخرى هي القصة اللّا/ ما بعد كولونيالية وعنصرية الغربية. ولهاتين الروايتين اللتين أصبحتا – إلى حدّ كبير – كونيّتين جذورٌ عميقة في التاريخ وفي فكر مناطق مختلفة من العالم. لكنّهما تطوّرتا بعد الحرب العالمية الثانية، على الرغم من أنّه قد تمّ إخفاؤهما من خلال تقسيم الحرب الباردة، ومن نهاية سنوات الثمانينيات، وبالأساس خلال سنوات التسعينيات من القرن الماضي، مع سقوط الكتلة الشيوعية، تمأسّستا من ناحية فكرية وحظيتا بظهور جماهيريّ، وأثّرتا تأثيرًا كبيرًا في الحوار الأكاديميّ، الثقافيّ، والسياسيّ في أوروبا، في الولايات المتّحدة، في الشرق الأوسط، وفي أجزاء أخرى من العالم.

وقد تشكّلت – على مرّ السنين – علاقات مركّبة جدًا بين هاتين الروايتين. كما كُتب عن ذلك الكثير في السنوات العشرين الأخيرة. وما يبرز بشكل خاصّ في هذا السياق هو كتاب مايكل روتبرغ Multidirectional Memory[2] الذي بيّن كيف أنّه في الكثير من السياقات في سنوات الخمسينيات، مثلًا، اندمجت هاتان الروايتان معًا وشكّلتا شبكات ذاكرات متعدّدة الاتجاهات، وليس بالضرورة ذاكرات متنافسة تنفي الواحدة منها الأخرى. وعلى الرغم من ذلك، فبين هاتين

* باحث ومحاضر في التاريخ اليهودي المعاصر– الجامعة العبرية ومعهد فان لير.

الرواية اللّا/الما بعد كولونيالية هي رواية نقدية أكثر بكثير. وبموجبها، ليست الكولونيالية شاذّة عن المسار الغربيّ لقيم التنوير والتحرّر، لا بل تعكس «الجانب المظلم والإجراميّ» المتأصّل في الثقافة الغربية الحديثة أيضًا، ولربّما، أساسًا، بصيغتها الليبيرالية. إذ إنّ أنظمة ديمقراطية – ليبيرالية، أيضًا، كانت متورّطة (ولا تزال متورّطة) في العنف، في قتل، في قهر، وأحيانًا حتّى في إبادة شعوب ومجتمعات.

الحكايتين – في نهاية المطاف – توتّر مبنويّ. إذ تركّز حكاية المحرقة اليهودية على أحداث داخل أوروبا خاصّة بمطاردة وقتل ستّة ملايين يهوديّ خلال الحرب العالمية الثانية. في حين أنّ الرواية اللّا/الما بعد كولونيالية – في المقابل – تركّز على مظالم أوروبا والغرب تجاه مجموعات سكانية غير بيضاء خارج أوروبا وداخلها (في إطار العبودية والعنصرية الفظّة تجاه السود، المهاجرين، واللّاجئين). وعلى الرغم من تاريخ مركّب من الإنكار والتهرّب حظيت قصّة المحرقة اليهودية – قُبيل نهاية الألفية – باعتراف غير مسبوق في التاريخ الكونيّ للذاكرة، كما حظي ضحاياها بتعويضات – هي مستحقّة طبعًا – لكنّها سخيّة جدًّا بمقارنة تاريخية. في حين أنّ جرائم الكولونيالية والعنصرية – في مقابل ذلك – لا تزال تواجه الإنكار التامّ تقريبًا من قِبل الغرب، حيث إنّ نضال ذراري العبيد، مثلًا، ونضال الدول الإفريقية من أجل الحصول على تعويضات أبعد من أن يجني أيّ ثمار مهمّة ما.

كما أنّ الرسائل السياسية لهاتين الروايتين مختلفة جدًّا. فقد جاءت حكاية المحرقة اليهودية – في نهاية المطاف – لتؤسّس جدول الأعمال الليبراليّ (أو النيوليبراليّ) الديمقراطيّ من نهاية الألفية وما يليها. وهنا تُعتبر المحرقة اليهودية كانقضاض لقوًى بريرية حاولت أن تعرقل مسار تطوّر الغرب في اتّجاه الحداثة؛ أي في اتّجاه كيان ليبراليّ وديمقراطيّ أكثر ينمو من داخل قيم التنوير والثورة الفرنسية. كان هؤلاء هم النازيّون الذين حرفوا الغرب عن مساره هذا، عندما ارتكبوا أفعالهم الفظيعة، ولا سيّما المحرقة اليهودية. وإنّ المغزى من هذه القصة أنّه طالما كنّا حريصين على التمسّك بقيمنا الديمقراطية وتعزيز المجتمع المدنيّ من خلال ضبط نزعات فكرية متطرّفة، ففي إمكاننا الدفاع عن أنفسنا من الانجراف نحو جرائمية من هذا النوع، وإنّنا بذلك نعزّز هُويّتنا باعتبارنا 'الصالحون' – كمن يتمسّكون بالديمقراطية ويدعمون الحرّية. وبشكل مفارق، إذًا، إنّ رواية المحرقة اليهودية رواية مطمئنة، وإنّها، فقط، تعزّز الهُويّة الغربية بأنّ ثقافة الذاكرة والندم التي انتهجتها تجاه المحرقة اليهودية تمكّنها من أن تشعر شعورًا بالرضى عن ذاتها وعن قيمها.

وبملاحظة عابرة نذكر أنّه لربّما اتّضح – في العقد الأخير – ضعف هذه الرواية. إنّ حركات العصبية القومية والمنافية للديمقراطية والأنظمة الشعبوية تنمو، أيضًا، ولربّما، أساسًا، في الأماكن التي دُرّست فيها المحرقة اليهودية – على امتداد عقود – كإشارة إنذار. إنّ هذه الأنظمة والحركات لا تتنكّر، دائمًا، لذاكرة المحرقة اليهودية، حتّى إنّها، أحيانًا، تواصل التمسّك بها كمركّب مركَزيّ في هُويّتها وفي الذاكرة الوطنية التي ترعاها. ورغم ذلك فإنّها تقترب بشكل خطير من أفكار الفاشية الأوروبية في سنوات الثلاثينيات والأربعينيات. وسنعود إلى ذلك لاحقًا.

الرواية اللّا/الما بعد كولونيالية هي رواية نقدية أكثر بكثير. وبموجبها، ليست الكولونيالية شاذّة عن المسار الغربيّ لقيم التنوير والتحرّر، لا بل تعكس 'الجانب المظلم والإجراميّ' المتأصّل في الثقافة الغربية الحديثة أيضًا، ولربّما، أساسًا، بصيغتها الليبيرالية. إذ انّ أنظمة ديمقراطية – ليبيرالية، أيضًا، كانت متورّطة (ولا تزال متورّطة) في العنف، في قتل، في قهر، وأحيانًا حتّى في إبادة شعوب ومجتمعات غير أوروبية في شتّى أرجاء العالم. ويكفي أن نذكر إبادة الأطفال في أميركا الشمالية، العبودية والتمييز ضدّ السود في الولايات المتّحدة، و[جنوساید] الإبادة الجماعية لهيريرو وناما التي اقترفتها ألمانيا في جنوب غرب إفريقيا، العنف الإجراميّ الذي مارسه البلجيكيّون في الكونغو والذي أدّى

إلى هلاك ملايين كثيرة، الإبادة الكاملة أو الجزئية لمجموعات سكّانية أصلانية في أستراليا وفي تاسمانيا، وغيرها الكثير. إنّ الرواية الما بعد كولونيالية تُحْسن وصف كلّ ذلك باعتبارها تنشأ من قلب مفهوم التنوير وفي التحوّل الديمقراطي التي مرّت بها أوروبا، وليس كردّ فعل لكلّ ذلك. حتّى إنّ هذه الرواية التاريخية تواصل انتقادها للمجتمعات الغربية والديمقراطية الليبيرالية بعد إجراءات إنهاء الاستعمار في شأن تدخّلها المستمرّ، العمليّ والمبنويّ، في الجنوب العالميّ، ولسبب السلوك العنصريّ، العنف المتطرّف، والأعمال الإجرامية، بما في ذلك الاستغلال الاقتصاديّ، حتّى يومنا هذا. في هذه الرواية التي تنشأ من داخل التجربة الكولونيالية وما بعد الكولونيالية ليس العنف السياسيّ الأصوليّ الأوروبيّ عطلًا طارئًا، لا بل هو أمر عاديّ، ليس مجرد إمكانية مهدّدة، لا بل هو ممارسة ثابتة.

تصطدم هاتان الروايتان العالميّتان اصطدامًا هو الأكثر وجاهية وفظاظة بمسألة إسرائيل – فلسطين، كما بيّن عومر كميل، لقد اصطدمتا في سنوات الخمسينيات والستينيات، قبل أن تتشكّلا لتصبحا مجموعًا سياسيًا وثقافيًا شاملًا، وحتّى قبل أن ينشر سعيد «الاستشراق» و«مسألة فلسطين». وهكذا، مثلًا، حدثت هوة عميقة بين سارتر وبين مفكّرين عرب عشية حرب العام ١٩٦٧ على هذه الخلفية بالضبط. بعد نحو عقدين على المحرقة اليهودية رفض سارتر أن يعتبر الصهيونية ودولة إسرائيل كيانين إجراميّين، مثلما اعتبرهما مفكّرون عرب.[٣]

وفعلًا، إنّ الهوّة بين هاتين الروايتين في قضية فلسطين إسرائيل عميقة جدًا. فحسَب رواية المحرقة اليهودية واللاسامية فإنّ العداء تجاه اليهود في أوروبا (وإلى حدّ ما في بلاد الإسلام، أيضًا) كأقلية على امتداد مئات وآلاف السنين، جعلت وجود اليهود في النظام السياسيّ الجديد بعد نموّ القوميّة الحديثة وتشكّل الدول القومية غير ممكن، تقريبًا. إنّ محكمة درايفوس التي اتُّهم فيها زورًا الضابط اليهوديّ بخيانة فرنسا وبنقل معلومات إلى العدوّ الألمانيّ، والتي في أعقابها صرخت الحشود في الشوارع «الموت لليهود»، دعت هرتسل إلى اليأس من فكرة اندماج اليهود في أوروبا وإلى إنشاء الحركة الصهيونية. إنّ إنشاء بيت قوميّ في أرض إسرائيل لليهود كان الحلّ الحتميّ لوضعهم في العصر الحديث. فالمحرقة التي لم يُقتل فيها نحو ستّة ملايين يهوديّ فقط، بل دُمّرت فيها تمامًا، تقريبًا، الحضارة اليهودية في أوروبا قد أوضحت – بلا أدنى شكّ، وبحسَب هذه الرواية – أنّ وضع اليهود في النظام السياسيّ الحديث مستحيل بدون دولة قومية خاصّة بهم. وفي هذه الرواية الحلّ الأمثل والقاطع للاسامية وللمحرقة اليهودية هو إقامة دولة يهودية في أرض إسرائيل، يستطيع الناجون من المحرقة فيها ترميم حياتهم وكرامتهم. حتّى إنّه في وثيقة استقلال دولة إسرائيل خُصّصت بضع فقرات للمحرقة اليهودية، كما جرى التشديد على أحداث بالغة الأثر من قبيل محكمة آيخمان عام ١٩٦١ التي حاكمت فيها دولة إسرائيل باسم الشعب اليهوديّ واحدًا من المهندسين الأوائل لـ«الحلّ النهائيّ» بينما العالم بأسره يتأمّل ذلك بذهول، لتوطيد هذه الرواية أكثر فأكثر.

تنظر الرواية اللّا/الما بعد كولونيالية إلى النضال في فلسطين بصورة مغايرة تمامًا. فإنّه بموجب هذه الرواية التاريخية، الصهيونية هي حالة أخرى من حالات الكولونيالية والإمبريالية الغربية. فاليهود الذين قدموا من أوروبا برعاية القوى العظمى لم يأتوا للاندماج في النسيج السياسيّ المحلّيّ، بل جاؤوا لاستبداله بمجتمع سياسيّ خاصّ بهم. وإنّ إعلان بلفور عام ١٩١٨ وصكّ الانتداب من عام ١٩٢٢ الذي يستند إليه، هما المستندان الإمبرياليّان الأكثر إجرامية في تاريخ المِنطقة، لأنّهما منحا الأقلية اليهودية حقوقًا قومية في مِنطقة لم تكن تابعة إلى القوى العظمى، بل كانت تابعة إلى السكّان الأصلانيّين الموجودين في هذا المحيط. وكما في حالات أخرى بالضبط من الكولونيالية الاستيطانية فإنّ توق الصهيونيّين للأراضي لم يعرف حدودًا، ودائمًا ما يأتي، بهذه الصورة أو تلك – «قانونية»، أحيانًا، وعنيفة، أحيانًا – من أجل إقصاء السكان الأصليين. وذلك كما حدث بالضبط في شمال أميركا، في أستراليا، وفي أماكن أخرى. إنّ التطهير العرقيّ عام ١٩٤٨ – النكبة – هو نتيجة حتمية لهذه الإجراءات، أو كما ادّعى پاتريك وولف بتحليله بعض حالات الكولونيالية الاستيطانية – ليست الكولونيالية الاستيطانية حدثًا بل هي بنية.[٤] إنّها بنية عنيفة تقوم بإقصاء المقيم الأصلانيّ من أجل منح مساحة من الأرض وأغلبية سكّانية صُلبة للغزاة. إنّها بنية عالميّة حيث إنّ كثرة العنف من جانب المستوطن تجاه السكّان الأصليين مبنوية فيه، حيث إنّها تصل أكثر من مرّة إلى درجة إبادة فعلية للشعب فعلًا. ومنذئذٍ لم يتوقّف المشروع الكولونياليّ اليهوديّ عن التوسّع

يبدو، فعلًا، أنّه في موضوع إسرائيل فلسطين لا يمكن ردم الهوّة بين هاتين الروايتين. فإحداهما ترى إلى الصهيونية تعبيرًا عن عدل تاريخيّ لا يُعلى عليه، وترى الأخرى إلى الصهيونية إحدى الحركات الإجرامية الأعند في تاريخ الإمبريالية والكولونيالية الغربية.

بدعم كاسح من الغرب، والنكبة التي بدأت عام ١٩٤٨ ولربّما قبل ذلك مستمرّة حتّى يومنا هذا.

يبدو، فعلًا، أنّه في موضوع إسرائيل فلسطين لا يمكن ردم الهوّة بين هاتين الروايتين. فإحداهما ترى إلى الصهيونية تعبيراً عن عدل تاريخيّ لا يُعلى عليه، وترى الأخرى إلى الصهيونية إحدى الحركات الإجرامية الأعند في تاريخ الإمبريالية والكولونيالية الغربية.

تطوّر الروايتين

لكن هيّا بنا نتوقّف لحظة أخرى عند طرق تطوّر هاتين الروايتين، بدون علاقة بمسألة فلسطين إسرائيل. لقد تأسّست هاتان الروايتان وتمأسستا وأصبحتا روايتين عالميّتين في الجامعات وفي مؤسّسات ثقافية وذكرى، وحتّى في المخيّلة الشعبية خلال سنوات الثمانينيات، وخصوصًا في سنوات التسعينيات من القرن الفائت. لكن ليس بنفس الدرجة. لربّما كنقطة انطلاق اعتباطية بعض الشيء يمكن أن نذكر المسلسلين «جذور» و«محرقة»، اللذين أخرجهما مارڤين تشومسكي Marvin Chomsky وبُثّا عبر التلفاز في الولايات المتّحدة في نهاية سنوات السبعينيات. وزعزع هذان المسلسلان اللّذان حظيا بأقصى نسب مشاهدة في الولايات المتحدة، وبعدها في دول كثيرة أخرى في أنحاء العالم – إلى حدّ بعيد – المفهوم الشموليّ لفرن الصهر الأميركيّ. فقد حكى مسلسل «جذور» قصّة أسرة أفرو–أميركية من لحظة اختطاف آبائها من إفريقيا في إطار الاتّجار بالعبيد وحتّى، عمليًّا، سنوات السبعينيات من القرن العشرين، كحكاية عنصرية بنيوية ومستمرّة، وبالمقابل كدعوى تطالب بحقوق الإنسان والمواطن

دفاعا عن الحق في انتقاد إسرائيل.

الكاملة. والمسلسل «محرقة» الذي يعتبره الكثيرون بداية أمركة ذاكرة المحرقة قد حكى قصّة أسرة يهودية في ألمانيا، يقضي غالبية أبنائها في المحرقة، حيث يبقى واحد منهم فقط، وفي نهاية المسلسل يهرّب – بعد الحرب – أطفالًا يهودًا ناجين إلى فلسطين. وكما ذُكر، لقد حظي المسلسلان بأقصى نسب مشاهدة هي غير مسبوقة، كما قد حرّكا مسارات وتيّارات ثقافية بالغة الأثر.

أخذ الاهتمام بالمحرقة اليهودية يتزايد خلال سنوات الثمانينيات وحتّى بعد ذلك، خلال سنوات التسعينيات، وأصبح أمرًا مركَزيًّا في كلّ العالم الغربيّ. وقد أدّت سلسلة من النقاشات والمواجهات الفكرية التاريخية في ألمانيا، في سائر أوروبا، وفي الولايات المتحدة الأميركية (مثلًا، حول زيارة الرئيس ريغن إلى المقبرة العسكرية في بيتبورغ، التي كان مدفونًا فيها – ضمن آخرين – جنود ڤافن إس إس، في

أيّار العام ١٩٨٥) إلى نشوء اهتمام متزايد بالمحرقة اليهودية. كما أنّ فيلم كلود لنتسمان «محرقة»، الذي كان أحد المعالم في تاريخ السينما عمومًا، خرج إلى دور العرض عام ١٩٨٥ ، وقد شوهد بتأييد وتشجيع كبيرين في جميع أنحاء العالم. تمّ افتتاح متحف المحرقة اليهودية في واشنطن عام ١٩٩٣ كمتحف فدراليّ يقع داخل مول في واشنطن مع بقيّة رموز السلطة والثقافة الأميركية، وقد أصبحت «ياد ڤـشيم» في تلك السنوات هدفًا سياحيًّا هو في المرتبة الثانية شعبية في دولة إسرائيل (بعد حائط المبكى). مئات الكاتدرائيّات، المعاهد، المتاحف، والمؤسّسات، في أوروبا، في شمال أميركا، وحتّى في جنوب إفريقيا، أستراليا، جنوب أميركا، شرق آسيا، ونيوزيلاندا (وإسرائيل، طبعًا)، قد أسّست لموضوع تدريس المحرقة اليهودية، بحثها، وذكراها. فأفلام مثل قائمة شندلر لستيـڤـن سـپـيلبرغ، الذي خرج إلى دور العرض عام ١٩٩٣، وبعده أفلام أخرى كثيرة مثل «الحياة حلوة» لروبرتو بنينو في عام ١٩٩٧ ، فازت بجوائز الأوسكار وبجوائز قيّمة أخرى. وقد جمعت مؤسّسات في جميع أنحاء العالم شواهد من ناجين من المحرقة، وما لا حصر له من الأبحاث التاريخية، الأدبية، الثقافية، والأخرى، قد كُتبت عن المحرقة وذكراها. وقسم كبير من الفلسفة الما بعد حداثية التي كُتبت في سنوات الثمانينيات والتسعينيات، وحتّى بعد ذلك، قد تطرق وتمأسس على المحرقة – دريدا، ليـــڤـيناس، شوشانا فلمان، دومينيك لاكاپـرا، وجورجيو أغـامبن، هم مجرد أمثلة. حتّى إنّ هناك من يدّعون أنّ كلّ فلسفة ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية هي – بصورة ما – ردّ فعل على المحرقة والنازية. وباختصار، تمّ الاعتراف بالمحرقة اليهودية كذاكرة جمعية ملزمة يجب على كلّ إنسان متحضّر أن يحترمها، مثلما ادّعى المؤرّخ طوني جادت.[٥] أو كما ادّعى المؤرّخ ألون كونفينو قد تحوّلت المحرقة ليتم التعامل معها باعتبارها Foundational past ، حلّ – إلى حدّ بعيد، بالنسبة إلى الغرب – محلّ ذكرى الثورة الفرنسية.[٦] لقد أصبحت المحرقة اليهودية ذاكرة غربية مهيمنة.

إنّ الرواية اللّا/الما بعد كولونيالية لم تحظَ، قطّ، بالموارد نفسها، أو بالظهور والمأسسة نفسيهما في الحيّز العامّ في الغرب، الذي – كما ذُكر – يرفض، حتّى اليوم، الاعتراف بكامل حجم جرائمه على مدار نحو خمسمائة عام من الكولونيالية، الاتّجار بالعبيد، والعنصرية المبنوية. لكنّه حظي، فعلًا، بالسيطرة – إلى حدّ بعيد – على جدول الأعمال الأكاديميّ، وإلى حدّ ما، أيضًا، على جدول الأعمال الفنّيّ في الجامعات وفي مؤسّسات ثقافية في شمال أميركا وبعدها، أيضًا، في أوروبا. صحيح أنّ الفلسفة اللا–كولونيالية (بمفهومها الواسع) ترجع إلى الوراء، إلى بداية ومنتصف القرن العشرين، وحتّى قبل ذلك، لكن نُشرت في سنوات التسعينيات سلسلة كتابات فلسفية أثّرت تأثيرًا حاسمًا وبلورت المجال إلى حدّ جعله حقلًا أكاديميًّا شاملًا بالغ التأثير في كثير من التخصّصات الأكاديمية في العلوم الإنسانية – الأدب، علم الإنسان، التاريخ، دراسات الجندر [النوع الاجتماعيّ]، دراسات الثقافات، القانون، وغيرها. ومن سنة ١٩٨٨ بدأت Gayatri Chakravorty Spivak بنشر كتبها التي سرعان ما أكسبتها مكانة قانونية رسمية، وفي العقد نفسه، وكذلك من خلال بروز نجم هومي بابا الذي نُشر كتابه البالغ الأثر The Location of Culture عام ١٩٩٤ و Chakrabarty, Dipesh الذي نشر كتابه Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference عام ٢٠٠٠. وبموازاة ذلك، في نهاية سنوات التسعينيات، بدأت تظهر دوريّات كُرّست لقضايا ما بعد كولونيالية: بدأت دورية Postcolonial Studies تظهر عام ١٩٩٨ وفي العام نفسه، أيضًا، بدأت تنشط دورية Interventions: International Journal of Postcolonial Studies وفي عام ١٩٩٩ صدر المجلّد الأوّل من دورية Journal of Genocide Research التي تناول الكثير من مقالاتها العنف الكولونياليّ والما بعد كولونياليّ.

من الجدير بالذكر، أيضًا، في المستوى السياسيّ، أنّ النهاية التي جرت تغطيتها إعلاميًّا لنظام الفصل العنصريّ [الأپـارتهايد] في جنوب إفريقيا عام ١٩٩٤، ولجنة الحقيقة والمصالحة التي حلّت في أعقابها، قد منحتا دفعًا سياسيًّا هائلًا للرواية الما بعد كولونيالية ولمأسستها كمنظورية مهمّة لفهم الواقع السياسيّ والثقافيّ – الحاضر والتاريخيّ – في العالم كلّه.

وحاليًّا، ففي العقد نفسه انقلب العالم كلّه. انتهت الحرب الباردة وكان يبدو أنّ القيم الديمقراطية والليبرالية بصيغتها الغربية قد جاءت بالتاريخ إلى نهايته، مثلما ادّعى بتبجّح مؤرّخ الاقتصاد فرنسيس فوكوياما في عام ١٩٩٢ . وُقّعت في هذا العام معاهدة ماستريخت، وبعد ذلك بسنة أُنشئ الاتحاد الأوروبيّ الذي كانت ماهيّته تحجيم صلاحية الدولة القومية

إنّ الرواية اللّا/الما بعد كولونيالية لم تحظَ، قطّ، بالموارد نفسها، أو بالظهور والمأسسة نفسيهما في الحيّز العامّ في الغرب، الذي – كما ذُكر – يرفض، حتّى اليوم، الاعتراف بكامل حجم جرائمه، لكنّها حظيت، فعلًا، بالسيطرة – إلى حدّ بعيد – على جدول الأعمال الأكاديميّ، وإلى حدّ ما، أيضًا، على جدول الأعمال الفنّيّ في الجامعات وفي مؤسّسات ثقافية في شمال أميركا وبعدها، أيضًا، في أوروبا.

لصالح إطار دوليّ أوروبيّ فوق قوميّ. وقد جرى الكثير من الحديث عن عصر ما بعد القومية. وتحت رعاية الدولة العظمى الوحيدة – الولايات المتّحدة حُلّت – في ذلك العقد – بعض المواجهات الأكثر حدّة وقدمًا – وقد كان أبرزها إنهاء نظام الفصل العنصريّ [الأپـارتهايد] في جنوب إفريقيا عام ١٩٩٤، واتّفاق الجمُعة العظيمة الذي أنهى عام ١٩٩٨ المواجهة في إيرلندا الشمالية، بين الكاثوليك والبروتستانت. كان على الغرب بعد الحرب الباردة أن يعرّف هُويّته من جديد، فتبنّى فكرة حقوق الإنسان وحقوق المواطن كقيم عُليا ومقدّسة، حتّى إنّها صاغت الدساتير والاتفاقات الدولية التي وُقّعت في تلك الفترة. لقد ساندت قصّة المحرقة اليهودية هذه الأفكار الخاصّة بحقوق الإنسان التي صيغت، عمليًا، منذ كانون الأوّل العام ١٩٤٨، منذ أن تبّنت الجمعية العامّة للأمم المتّحدة – في أعقاب الحرب العالمية الثانية والمحرقة اليهودية – الإعلان للإنسانية جمعاء في شأن حقوق المواطن والإنسان[٧] ولكن – يجب أن نضيف – من دون أن يُوجَّه ذلك بشكل مباشر ضدّ أعمال الإخلال بحقوق المواطن والإنسان التي ارتكبتها إسرائيل. لقد اعتُبرت إسرائيل الوريثة المثالية لضحايا المحرقة، وكتلك حظيت بحصانة إلى حدّ بعيد. إنّ التوتّر بين الموروثين اللذين تعلّقا بالمحرقة – مساندة دولة إسرائيل كوريثة لضحايا المحرقة، والالتزام بحقوق المواطن والإنسان – كان قد أصبح ملحوظًا، لكنّه لم يصل بعد إلى حدّ الصدام الوجاهيّ. إنّ هذا الصدام سيأتي سريعًا.

لقد شهد الشرق الأوسط، أيضًا، تقلّبات كبيرة في ذلك العقد. ففي عام ١٩٩٣ وُقّعت اتّفاقات أوسلو وأُنشئت السلطة الفلسطينية في مناطق الضفّة الغربية وقطاع غزّة. لكن قبل أن يجفّ الحبر على الاتفاقات المبرمة اندلعت أعمال العنف. تمّ تسريع وتيرة توسيع المستوطنات، مصادرة الأراضي، وتعبيد الشوارع الـ«التفافية» في الأراضي المحتلّة، وفي شهر شباط العام ١٩٩٤ وقعت المجزرة في الحرم الإبراهيميّ في الخليل، التي قُتل فيها تسعة وعشرون مصلّيًا. وفي أيلول العام ١٩٩٦ قامت حكومة إسرائيل بفتح أنفاق حائط المبكى ما أدّى إلى نشوب آخر لأعمال العنف. وفي المقابل وقعت أعمال انتحارية داخل حدود دولة إسرائيل وفي الأراضي المحتلّة ضدّ مواطنين وضدّ جنود الجيش الإسرائيليّ، قُتل فيها خلال «سنوات أوسلو» نحو ١٦٥ شخصًا. وفي تشرين الثاني العام ١٩٩٥ قُتل رئيس حكومة إسرائيل، إسحق رابين، من قِبل يهوديّ مواطن إسرائيل. وفي تمّوز العام ٢٠٠٠ اجتمع، مرّة أخرى، رئيس حكومة إسرائيل، حينها، إيهود باراك، ورئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات، في مؤتمر قمّة في كامـپ ديـڤـيد، بوساطة رئيس الولايات المتّحدة، بيل كلينتون، في محاولة للوصول إلى تسوية وإنقاذ عملية السلام. لكنّ القمّة فشلت، وبعدها ببضعة أشهر، في أيلول العام ٢٠٠٠، صعد أريئيل شارون، رئيس المعارضة في إسرائيل، حينها، إلى الحرم القدسيّ الشريف، وهو ما أشعل الانتفاضة الثانية، انتفاضة الأقصى.

كانت السنة الأولى للانتفاضة صعبة جدًا لإسرائيل على الصعيد الدوليّ. صحيح أنّ رئيس الولايات المتّحدة، بيل كلينتون، أيّد موقف رئيس حكومة إسرائيل، إيهود باراك، أنّ المحادثات قد فشلت لسبب رفض الفلسطينيّين، لكنّ الرأي العامّ العالميّ، وطبعًا الجمهور التقدّميّ والراديكاليّ لنشطاء حقوق الإنسان، لم يقبل ذلك. بالإضافة إلى ذلك، إنّ نسب المصابين في الأشهر الأولى من الانتفاضة لم تكن تناسبية

لقد صبّ كلّ الوضع المركّب في مؤتمر الأمم المتّحدة ضدّ العنصرية الذي انعقد بعد سنة من اندلاع الانتفاضة، في نهاية آب وبداية أيلول ٢٠٠١ في ديربان بجنوب إفريقيا، والذي كان – بمعانٍ مختلفة – حدثًا مؤسّسًا ومهما لمواصلة صراع الروايات. لاقت إسرائيل في المؤتمر انتقادًا لاذعًا جدًا على أعمال الإخلال بحقوق الإنسان الخاصّة بالفلسطينيّين داخل إسرائيل وفي الأراضي المحتلّة.

إلى حدّ بعيد بين الجانبين، ولهذا اعتبر كثيرون في العالم الفلسطينيّين ضحية العنف، في حين أنّ إسرائيل اعتُبرت عاملًا عنيفًا ليس هناك ما يكبحه. كما أنّ صور محمّد الدرّة منذ بداية الانتفاضة، التي نُشرت في أنحاء العالم، والتي يُشاهد فيها الطفل ابن الثانية عشرة يُقتل على حاجز في قطاع غزّة، شكّلت مثالًا على ذلك. وفي داخل هذا السياق، اعتُبرت إسرائيل لدى أوساط كثيرة كدولة قومية رجعية وأصولية واقعة في حروبات لا نهاية لها، في احتلال وفي قهر حادّ لحقوق الفلسطينيّين. في حين أنّ الغضب الفلسطينيّ على عقود من الاحتلال وعلى سنوات أوسلو المحبطة، الذي اندلع بكامل قوّته في هذه السنوات، حظي بدعم أو بتفهّم على الأقلّ. إنّ عقد سنوات التسعينيات التي تمأسست فيها أفكار حقوق المواطن والإنسان، كما، أيضًا، الرواية الما بعد كولونيالية – ساهمت في ذلك مساهمة معتبرة.

مؤتمر ديربان ٢٠٠١

لقد صبّ كلّ الوضع المركّب في مؤتمر الأمم المتّحدة ضدّ العنصرية الذي انعقد بعد سنة من اندلاع الانتفاضة، في نهاية آب وبداية أيلول ٢٠٠١ في ديربان بجنوب إفريقيا، والذي كان – بمعانٍ مختلفة – حدثًا مؤسّسًا ومهما لمواصلة صراع الروايات. لاقت إسرائيل في المؤتمر انتقادًا لاذعًا جدًا على أعمال الإخلال بحقوق الإنسان الخاصّة بالفلسطينيّين داخل إسرائيل وفي الأراضي المحتلّة. وخلال المحادثات التمهيدية وفي المؤتمر نفسه، وكذلك في بعض مسوّدات قرارات التلخيص، اتُّهمت إسرائيل بممارسة سياسة تمييز عنصريّ وقد قورنت بنظام الفصل العنصريّ [الأپارتهايد]. كثيرون في جنوب إفرقيا ممّن قد تخلّصوا، توًّا، من نظام الفصل العنصريّ البغيض قد تماهَوا بقوّة كبيرة مع معاناة الفلسطينيّين، وقد كانت المظاهرات خارج قاعات المحادثات صاخبة. لقد شعر الفلسطينيّون بأنّ العالم يعترف بمعاناتهم وبروايتهم التاريخية. كان واضحًا أنّ جدول الأعمال الما بعد كولونياليّ قد فرض على المؤتمر جوّه وروحه! فالعبودية، مثلًا، تمّ الاعتراف بأنّها جريمة يجب تقديم الاعتذار عنها ويجب حتّى تعويض المتضرّرين منها. كما أنّ الصوت المكتوم لمتضرّري الكولونيالية والعنصرية الغربية أُسمِع بقوّة ولفت إليه الانتباه الذي يستحقّه. لكن في نهاية المطاف، وبضغط من إسرائيل، الولايات المتّحدة، أستراليا، والدول الأوروبية، تمّ اتّخاذ قرارات أكثر اعتدالًا بكثير. وبعد يوم آخر من المحادثات زيادة على ما كان مخطّطًا له، صدرت وثيقة اتّفاق اقترحتها جنوب إفريقيا، كانت في الموضوع الإسرائيليّ أكثر اعتدالًا بكثير من لغة الخطاب التي ميّزت محادثات المؤتمر. صحيح أنّ إسرائيل ذُكرت فيه، لكنّ الصهيونية لم تقارن بالعنصرية، حيث إنّ المؤتمر، فقط، قد «أعرب عن قلقه من ضائقة الشعب الفلسطينيّ الخاضع لاحتلال أجنبيّ». وقد ذُكرت مسألة اللاجئين، وقد نادى المؤتمر بتمكين اللاجئين من العودة إلى بيوتهم، لكن من دون أن يُذكر بوضوح أنّ الحديث هو عن اللاجئين الفلسطينيّين.[٨]

لكن بموازاة المنتدى الدبلوماسيّ عُقد في ديربان، أيضًا، منتدى جمعيّات (NGO) لنشطاء حقوق إنسان، شارك فيه نحو ٣٠٠٠ مشارك. وقد سيطر هناك – من دون أن تقيّد ذلك دول بالغة القوّة – الحوار اللا والما بعد كولونياليّ الخاصّ بالعالم الثالث، أو «جنوب العالم». وقد افتُتحت وثيقة تلخيص المنتدى بالتصريح بأنّ صوت ضحايا العنصرية، التمييز العرقيّ، كره

كانت بنود إعلان ديربان حادّة جدًا (لا سيّما لمسامع إسرائيلية ويهودية) بكل ما يتعلّق بإسرائيل المذكورة خمسًا وثلاثين مرّة في الوثيقة، والتي كُرّس لها ستّة عشر بندًا من أصل بنودها الـ ٤٧٣. وفي إطار هذه الوثيقة اللا كولونيالية حُكم على إسرائيل بأنّها دولة فصل عنصريّ [أپارتهايد] إجرامية، وضمن قائمة الدول المحتلة والمخلّة بحقوق الإنسان.

الأجانب، وممارسات تمييز ذات صلة، يجب أن يُسمع. وفعلًا، كانت هذه وثيقة عبّرت عن صوت كثيرين جدًا من مضطهدي الأرض. لقد تناولت بنود الوثيقة الـ ٤٧٣ الخاصّة بالمنتدى قائمة طويلة جدًا من المظالم – من العبودية ونتائجها، مرورًا باستغلال الأطفال والنساء، وحتّى شعوب كثيرة لا تزال ترزح تحت نير الاحتلال، مثل الشعب الكرديّ وشعب التبت. كما أنّ الوثيقة تطرّقت، أيضًا، إلى شعوب أخرى تعاني من الإقصاء، التمييز، والمطاردة ، من قبيل البوراكو (Buraku) في اليابان. وقد طالبت الوثيقة – ضمن أشياء أخرى – شعوبًا غربية وعربية كانت متورّطة بالاتّجار بالعبيد وقد اغتنوا منه بتعويض ذراري الضحايا؛ حتّى إنّ بعض البنود الحازمة نبذت اللاسامية وإنكار المحرقة اليهودية، بما في ذلك نزعات من التصحيحية التاريخية (التي تنكر المحرقة) ونادت إلى التربية والتثقيف وإلى أعمال أخرى لمواجهة اللاسامية (البنود ٤٥، ٧٧، ٧٨، ٢٤٧، ٢٤٨). وإنّه ليبدو أنّ هذه الوثيقة تلخّص عشرات السنوات من الفكر السياسيّ اللا والما بعد كولونياليّ التقدّميّ لا نظير له في جميع أرجاء العالم.

كانت بنود إعلان هذا المنتدى حادّة جدًا (لا سيّما لمسامع إسرائيلية ويهودية) بكل ما يتعلّق بإسرائيل المذكورة خمسًا وثلاثين مرّة في الوثيقة، والتي كُرّس لها ستّة عشر بندًا من أصل بنودها الـ ٤٧٣ ,[٩] وفي إطار هذه الوثيقة اللا كولونيالية حُكم على إسرائيل بأنّها دولة فصل عنصريّ [أپارتهايد] إجرامية، وضمن قائمة الدول المحتلة والمخلّة بحقوق الإنسان. اتُّهمت إسرائيل بالتطهير العرقيّ، بأعمال إبادة شعب [جنوسايد] (acts of genocide)، بارتكاب جرائم عنصرية ضدّ الإنسانية، بالإخلال بوثيقة جنيف وقرارات الأمم المتّحدة. وقد طولبت بإتاحة عودة اللاجئين الفلسطينيّين من العام ١٩٤٨، بإرجاع أملاكهم لهم، وبتعويضهم. وإنّ رفض إسرائيل القيام بذلك يزعزع الاستقرار في المنطقة، وقد شُحن العالم كلّه بهذا الإعلان. كما أنّ هناك بعض البنود الحادّة بشكل خاصّ المكرّسة، أيضًا، لسياسة إسرائيل في الأراضي المحتلة من عام ١٩٦٧. وفي إمكان البند ١٦٢ أن يعبّر عن روح الإعلان كلّه بالنسبة إلى إسرائيل:

We declare Israel as a racist, apartheid state in which Israel's brand of apartheid as a crime against humanity has been characterized by separation and segregation, dispossession, restricted land access, denationalization, ¨bantustanization¨ and inhumane acts.

لقد تكرّرت هذه المصطلحات مرّات عدّة في سياقات مختلفة على امتداد الوثيقة، وقد صبّت – في نهاية المطاف – في البندين ٤٢٤ و ٤٢٥ اللذين يناديان بفرض المقاطعة الشاملة والكاملة على إسرائيل، على شاكلة المقاطعة التي فُرضت على جنوب إفريقيا، وهما يدينان الدول التي لن تستجيب لهذا النداء.

لقد تبنّى هذا المنتدى الرواية الأخلاقية الفلسطينية الخاصّة بالصراع، باعتبارها ممزوجة داخل رواية وموروث لا كولونياليّين. لكن في الوقت نفسه، من الصعب تخيّل وثيقة دولية أكثر تفصيلًا تقف على طرف نقيض مع الطريقة التي يُنظر بها إلى إسرائيل من وجهة نظرها ومن وجهة نظر العالم الغربيّ، كجزء من رواية المحرقة العالمية – كدولة قد لا تكون كاملة لكنّها، أوّلًا وقبل أيّ شيء، بيت ضحايا المحرقة، وهي الردّ الأمثل على اللاسامية. في الصراع القائم بين رواية المحرقة اليهودية والرواية اللا والما بعد كولونيالية كان يبدو أنّ في مؤتمر ديربان سيخرج الأخير بالذات منتصرًا، وهو الذي أشار إلى الاتّجاه الذي يسير العالم كلّه إليه، بما فيه العالم الغربيّ – لا سيّما

في الرأي العامّ، لكن لربّما، أيضًا، في المؤسّسات السياسية والدبلوماسية. كان يبدو أنّه حتّى إذا لم يتبنّ العالم الغربيّ، إطلاقًا، هذا المفهوم لدولة إسرائيل كدولة كولونيالية، استيطانية، عنصرية، وإجرامية، فإنّه بعد تأسّس الرواية اللا والما بعد كولونيالية في سنوات التسعينيات، وتبنّي موروث حقوق المواطن، كان من الصعب عليه مقاومته بصورة ناجعة. لقد منحت هذه الرواية أساسًا نظريًّا، تاريخيًّا، وسياسيًّا، للطريقة التي تعامل بها الفلسطينيّون مع الصهيونية ودولة إسرائيل، وقد انعكس ذلك بصورة قاطعة في إعلان منتدى الجمعيات.

من الجدير بالذكر، طبعًا، أنّ الفلسطينيّين لم يحتاجوا إلى تأسّس حقل الدراسات الما بعد كولونيالية في الغرب لغرض فهم الصهيونية كحركة إمبريالية كولونيالية استيطانية. وقريبًا جدًّا من بدايتها أدرك ذلك مفكّرون، سياسيّون، صحافيّون، ووجهاء عرب. لكن حتّى كتاب إدوارد سعيد «الاستشراق» من عام ١٩٧٨ الذي ركّز على الشرق الأوسط بشكل خاصّ، وقرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة من عام ١٩٧٥ (الذي كان تعبيرًا واضحًا وصريحًا للحرب الباردة) الذي قارن الصهيونية بالعنصرية، لا يستطيع أن يؤسّس النضال الفلسطينيّ داخل حقل فكريّ وأخلاقيّ غربيّ واسع إلى هذا الحدّ وقويّ جدًّا، مثلما حدث خلال سنوات التسعينيات، حيث اعتُبر النضال اللا كولونياليّ الأخير في عالم ما بعد كولونياليّ. «الجارية» الما بعد كولونيالية ومعها الرواية الفلسطينية قد تغلغلتا – في هذه السنوات، عمليًّا – في قلب قصر «الملكة» الغربية.

كان يبدو – في هذه المرحلة – أنّ في مسألة إسرائيل – فلسطين تتعاظم الرواية الما بعد كولونيالية، ولربّما، أيضًا، سوف تنتصر على رواية المحرقة اليهودية واللاسامية. لقد شعر الفلسطينيّون أنّه داخل هذا الإطار المصطلحيّ قد أصبح العالم – أخيرًا – منصتًا إلى قصّتهم ومقدّرًا لكامل الغُبن التاريخيّ الذي مورس في حقّهم، لكنّ كثيرًا من الإسرائيليّين واليهود الذين كانوا حاضرين في ديربان قد اختبروا المؤتمر بصورة مغايرة تمامًا. لقد اختبروا المؤتمر كصدمة، وقد اعتبروه عرضًا متّقدًا من الكراهية اللا سامية. توم لنتوس، عضو الكونـــچغرس الديمقراطيّ اليهوديّ، الناجي من المحرقة في المجر، الذي كان محسوبًا في الولايات المتّحدة على النضال ضدّ اللاسامية ومن أجل حقوق المواطن والإنسان بشكل عامّ، صرّح، مثلًا، أنّ ذلك كان عرض الكراهية الأكثر إثارة للغثيان والأكثر لا خجلًا الذي رآه منذ المحرقة.[١٠] لقد انتاب هؤلاء اليهود هذا الشعور، ليس لسبب المضامين فقط، لا بل ليس أقلّ من ذلك لسبب النغمة، القوّة، والغضب، الذي انعكس في محادثات منتدى الجمعيات وفي الإعلان التلخيصيّ، وكذلك لسبب المظاهرات الصاخبة اللا إسرائيلية التي جرت خارج غرف المؤتمر. لقد فسّروا ذلك ككراهية يهود قديمة تنجح بصعوبة، فقط، في إخفاء ذاتها خلف غطاء شفّاف من العداء السياسيّ. وسيتّضح، لاحقًا، أنّ تلك كانت نقطة تحوّل في العلاقات بين الروايتين.

أنهى المؤتمر أعماله في ٨ أيلول ٢٠٠١. وبعد ذلك بثلاثة أيام وقعت أعمال التخريب الكبيرة في الولايات المتّحدة – في برجي التجارة العالمية، في وزارة الدفاع الأميركية [الـپـنتاغـون] وفي پـنسلـڤـينيا – وقد تغيّر العالم مرّة أخرى تغيّرًا تامًّا حتّى إنّه لم يعد من الممكن التعرّف إليه. وقد فاقمت سلسلة من الأحداث الدراماتيكية التي وقعت في العقدين التاليين التغيير: الحرب ضدّ الإرهاب التي أعلنها الرئيس بوش، واجتياح أفغانستان والعراق؛ الأعمال التخريبية الإرهابية في أوروبا (خصوصًا مدريد ٢٠٠٤ ولندن ٢٠٠٥)؛ الربيع العربيّ الذي تطوّر إلى حروب أهلية دامية في بعض الدول العربية، في حين أنّه انتهى في دول أخرى باعتلاء أنظمة سدّة الحكم هي أكثر دكتاتورية من تلك التي تمّ إسقاطها؛ نشوء داعش على مراسيم قطع الرؤوس التي بُثّت في جميع أنحاء العالم وأعمال التخريب الإرهابية الهائلة في أوروبا؛ موجات اللاجئين الكبيرة التي وصلت إلى أوروبا؛ عودة العصبية القومية واعتلاء أنظمة شعبوية في جميع أنحاء العالم؛ تحرّك الخارطة السياسية في العالم كلّه نحو اليمين؛ تحطّم اليسار الأيديولوجيّ في أوروبا كلّها، وزعزعة الاتّحاد الأوروبيّ. لقد أضعفت كلّ هذه الأحداث – بشكل دراماتيكيّ – المكانة الأخلاقية للرواية الما بعد كولونيالية ودرجة الالتزام بفكر حقوق الإنسان. في حين أنّ رواية المحرقة واللاسامية – في المقابل – لم تحظ بشرعية دولية استثنائية فقط، لا بل تمّ، تدريجيًّا، إهمال صيغة هذه الرواية التي تؤكّد على قيم شمولية خاصّة بحقوق الإنسان ومنع الجنوسايد، وذلك لصالح صيغة تؤكّد، أوّلًا وقبل أيّ شيء، على مشكلة اللاسامية، وترى إلى معارضة إسرائيل والصهيونية كتعبيرات خطيرة جدًّا للاسامية نفسها تجب مقاومتها. وفي أعقاب ذلك، نجد أنّ الشرعية الدولية للحكاية الفلسطينية – في المقابل – في أوروبا والولايات المتّحدة وفي دول كثيرة أخرى حول العالم (بما فيها الهند – الدولة الما بعد

لقد أضعفت مجموع من الأحداث – بشكل دراماتيكيّ – المكانة الأخلاقية للرواية الما بعد كولونيالية ودرجة الالتزام بفكر حقوق الإنسان. في حين أنّ رواية المحرقة واللاسامية – في المقابل – لم تحظ بشرعية دولية استثنائية فقط، لا بل تمّ، تدريجيًا، إهمال صيغة هذه الرواية التي تؤكّد على قيم شمولية خاصّة بحقوق الإنسان ومنع الجنوسايد، وذلك لصالح صيغة تؤكّد، أوّلًا وقبل أيّ شيء، على مشكلة اللاسامية، وترى إلى معارضة إسرائيل والصهيونية كتعبيرات خطيرة جدًا للاسامية نفسها تجب مقاومتها.

كولونيالية الأكبر) قد تزعزعت جدًّا.

لكن كانت هذه عملية طويلة لم تحدث بين عشية وضحاها.

وسنعود، إذًا، إلى مؤتمر ديربان الذي أصاب بالذهول كثيرًا من اليهود والإسرائيليين الذين حضروه، والذي أشار إلى الجوّ اللاإسرائيليّ في أوروبا وحتّى في أجزاء من الولايات المتّحدة، وخصوصًا في الجامعات في سنوات الانتفاضة التي جاءت بعده. فالكثير من بين هؤلاء الإسرائيليين واليهود كانوا مصرّين على الردّ على هذه الحرب بحرب حتّى أكثر ضراوة. وفي هذا السياق، مثلًا، أُنشئت منظمة NGO MONITOR التي سرعان ما أصبحت ذات تأثير كبير في مطاردة وكبت مقولات نقدية تجاه إسرائيل في العالم كلّه، والتي حدّدت أهدافها كما يلي:

NGO Monitor is an independent and nonpartisan research institute dedicated to promoting transparency and accountability of NGOs claiming human rights agendas, primarily in the context of the Arab-Israeli conflict. NGO Monitor is the leading source of information on political NGOs active in delegitimization campaign against Israel and the role of both government and private funders-enablers. It was founded following the 2001 UN World Conference Against Racism held in Durban, South Africa, where NGOs adopted a strategy of using the instruments and language of "human rights" and "international law" to isolate Israel and undermine its right to sovereign equality" (emphasis mine) [11].

هذا وإنّ الكثير من المنظمات والنشطاء اليهود وغير اليهود الذين سيتجنّدون، لاحقًا، لحرب شعواء ضدّ الـ BDS ولتصنيف النقد ضدّ إسرائيل وضدّ الصهيونية كـ لاساميّ، سيعتبرون مؤتمر ديربان نقطة تحوّل.

عام ٢٠٠٥ - مبادرات من الجانبين

السنة المصيرية التالية في المسار الذي أريد أن أرسمه هي سنة ٢٠٠٥. كانت هذه هي السنة التي انتهت فيها الانتفاضة الثانية، وقد أخرج رئيس حكومة إسرائيل، حينها، أريئيل شارون، إلى حيّز التنفيذ ما أسماه «خطّة الانفصال» عن قطاع غزّة، التي سرعان ما ستجعله السجن المفتوح الأكبر في العالم. ولكن هذه السنة – وليس بمجرد الصدفة – كانت، أيضًا، سنة مهمّة في تطوّر الصراع بين الروايتين. كانت هذه سنة أُطلقت فيها بعض المبادرات من الجانبين التي حاولت تأسيس الروايات نفسها لعمل سياسيّ فعّال.

فمن جهة تمّ إطلاق حملة الـ BDS التي هي استمرار مباشر لمؤتمر ديربان، والمبنية كلّها على أساس الرواية ولغة الخطاب اللا كولونيالية. وبشكل معلن حملة الـ BDS مبنية على أساس التجربة الجنوب إفريقية، حيث كانت حركة المقاطعة من العوامل التي اعتُبرت وكأنّها أدّت إلى إنهاء نظام الفصل العنصريّ [الأپارتهايد] فيها. وهذه الحملة التي بدأت بجني النجاحات خلال سنواتها الأولى قد أصبحت أحد أعداء دولة إسرائيل الأوائل في العقد الثاني من الألفية، وكما سنرى، لاحقًا، إنّها ستقف في مقدّمة النضال من أجل شرعية الرواية الفلسطينية في أوروبا والولايات المتّحدة. وكما هو معروف، امتنعت حملة الـ BDS عن ذكر الحلّ السياسيّ المرغوب فيه للنزاع – دولة واحدة، دولتان، أو حلّ ثنائيّ القومية. إنّها وضعت، فقط، ثلاثة أهداف تحظى بموافقة كاسحة لدى الغالبية المطلقة

من الفلسطينيّين – إنهاء الاحتلال في مناطق ١٩٦٧، منح فلسطينيّي العام ١٩٤٨ مساواة كاملة في الحقوق، وممارسة حقّ العودة. وإلى حين تحقّق هذه الأهداف الثلاثة نادت الحملة إلى مقاطعة دولة إسرائيل وإلى سحب الاستثمارات منها وإلى فرض عقوبات عليها.[١٢]

إنّ حملة الـ «بي دي إس» هي التعبير السياسيّ الواضح والصريح للرواية الفلسطينية الـ (ما بعد) كولونيالية، وقد بدأت تراكم تشجيعًا آخذًا في الازدياد لدى نشطاء تقدّميين – كثير منهم ينتمون إلى حركات سود ومختلطين – خصوصًا في حرم الجامعات في الولايات المتّحدة وفي إنكلترا، لكن، أيضًا، إلى حدّ ما، في بعض الدول الأوروبية الأخرى. لقد نُظر إليها كتعبير محقّ جدًا لنضال غير عنيف في إطار مواجهة غير متكافئة، تتفاوت فيها عناصر القوّة تفاوتًا كبيرًا. إنّ قرار-British University and College Union من عام ٢٠٠٧ بمقاطعة إسرائيل شكّل معلمًا لنجاح الحملة والرواية التي دفعت بها إلى الأمام، كما لتطوّر التفاعل ضدّهما.

لكن من جهة أخرى، وقعت في تلك السنة بعض الأحداث التي أسّست لرواية المحرقة واللاسامية بصلتها بالصهيونية وبدعم دولة إسرائيل. يبدو أنّ هذه كانت ذات قوّة وتأثير أكبر، لا سيّما في القواعد السياسية للدول الغربية وفي المؤسّسات الدولية.

عام ١٩٥٣ أقرّ الكنيست الإسرائيليّ قانون «ياد فشيم» ونصّ في كتاب القوانين مؤسّسة التخليد الوطنية للمحرقة اليهودية، التي أُسّست، عمليًا، في بداية سنوات الأربعينيات. وقد تطوّرت المؤسّسة تدريجيًا، لتصبح في سنوات السبعينيات مُتحفًا حقيقيًا. لكن في أعقاب تقادم المعرض وتزامنًا مع افتتاح متحف المحرقة اليهودية في واشنطن عام ١٩٩٣ الذي هدّد بتحويل مركز ثقل العمل في المحرقة اليهودية من إسرائيل إلى الولايات المتحدة، تقرّر هدم المتحف القديم وبناء آخر جديد مكانه. وفي آذار العام ٢٠٠٥ دُشّن المتحف الجديد. لكن بخلاف ما كان من الممكن توقّعه في حفل الافتتاح، لم يحضر مربّون، باحثون، ومثقّفون. كما لم يحضر ممثّلون لشعوب عانوا من أعمال إبادة شعب أخرى في أرجاء العالم. لكن حضر، أساسًا، سياسيّون رفيعو المستوى من العالم الغربيّ. وأحداث الافتتاح التي استمرّت يومين كانت من المناسبات الدبلوماسية والدولية الكبيرة التي أُقيمت مرّة في إسرئيل حتّى ذلك الحين. وقد شارك في حفل الافتتاح أكثر من ٣٥ وفدًا، أغلبهم من أوروبا ومن شمال أميركا، برئاسة رؤساء دول أو شخصيّات سياسية كبيرة، بمن فيهم كوفي عنان، الذي كان السكرتير العامّ للأمم المتحدة في تلك الفترة. يبدو أنّ العالم كلّه، أو 'العالم الغربيّ'، على الأقلّ، توصّل في «ياد فشيم» في لحظة استثنائية من الإجماع، إلى توافق حول وازع أخلاقيّ جديد يأمر: 'لا تنس ذكرى المحرقة'. ما من شكّ في أنّ وقوف المجتمع الدوليّ في «ياد فشيم» كان نتاجًا لعمليّات تجذّر رواية المحرقة اليهودية في الغرب كما بالرغبة في الوقوف إلى جانب حكومة إسرائيل في نهاية الانتفاضة وقُبيل الانفصال عن قطاع غزّة، الذي اعتبره المجتمع الدوليّ – في تلك الفترة – خطوة نحو السلام مع الفلسطينيّين.

وهناك حدث آخر وقع في ١ تشرين الثاني ٢٠٠٥، حيث اتُّخذ في الجمعية العامّة للأمم المتّحدة بالإجماع قرار بتأسيس ذاكرة المحرقة اليهودية على المستوى الدوليّ.[١٣] وقد أقرّ القرار – ضمن أشياء أخرى – يوم الـ ٢٧ من كانون الثاني، يوم تحرير أوشفيتس – معسكر الإبادة الأكبر الذي أقامه النازيّون – بيد السوفييت، كيوم المحرقة الدوليّ. وقد كان القرار مبادرة لوزارة الخارجية الإسرائيلية، والذي سرعان ما حظي بدعم نحو مائة وأربعين دولة. ومن خلال محاضرة «زووم» علنية أجراها روم آدم، من وزارة الخارجية، في صفحة الـ«فيسبوك» الخاصّة بوزارة الخارجية في ٢٧ كانون الثاني، يوم المحرقة الدوليّ ٢٠٢٠، أوضح، وهو نفسه ابن لناجين من المحرقة وعضو الوفد الإسرائيليّ إلى الأمم المتّحدة في تلك الفترة، الذي بادر إلى هذا القرار، من أجل وضع بديل للرواية الفلسطينية التي كانت – حسب ادّعائه – مهيمنة جدًا في مؤسّسات الأمم المتّحدة.[١٤] فكّر – في البداية – في إنشاء معرض ثابت عن المحرقة اليهودية، إلى جانب المعرض الفلسطينيّ الثابت الذي أُقيم في مبنى الأمم المتّحدة في نيويورك، لكن سرعان ما تطوّرت المبادرة إلى أن أصبحت قرارًا احتفاليًا للجمعية العامّة تمّ اتّخاذه بالإجماع. وبموجب ادّعاء آدم حظي الاقتراح بدعم كاسح لدى الغالبية الساحقة من دول الأمم المتّحدة. لكنّ الإجماع الكامل الخالي من المعارضات والاستثنائيّ تمّ تحصيله من خلال استغلال فرصة سياسية لرئيس الجمعية المناوب، الدبلوماسيّ السويديّ يان ألياسون. فهو كداعم واضح وصريح لإسرائيل طرح الاقتراح بحركة خاطفة للتصويت، وسأل بنصف فم عمّا إذا يوجد معارضون، وأغلق الجلسة بسرعة قبل أن يلحق المعارضون (الذين كانوا قلّة في جميع الأحوال) أن يصحوا من هول المفاجأة.

إنّ القرار نفسه لهو ذو طابع شموليّ جدًا. إنّه يذكر اليهود مرّة

واحدة فقط، ولا يذكر دولة إسرائيل إطلاقًا. وفي مقابل ذلك، تظهر كلمة «حقوق» (إنسان) فيه عشر مرّات، وهو يتطرّق بتوسّع إلى بنود مختلفة في إعلان حقوق الإنسان التابع إلى الأمم المتّحدة من عام ١٩٤٨ وإلى وثيقة الأمم المتّحدة ضدّ جريمة الجنوساید التي قُبلت هي، أيضًا، في العام نفسه. كما أنّ تعريف المحرقة واسع وشموليّ جدًّا، أيضًا: [T]he Holocaust, which resulted in the murder of one third of the Jewish people, along with countless members of other minorities, will forever be a warning to all people of the dangers of hatred, bigotry, racism and prejudice. حيث إنّ القرار – على ما يبدو – لا يخدم «الرواية الصهيونية» الخاصّة بالمحرقة اليهودية، التي أرادت دولة إسرائيل دفعها إلى الأمام. لا بل كنت لأقول عكس ذلك، تقريبًا – إنّه يخدم فكرة حقوق الإنسان والحرّيّات الكونيّة التي باسمها تلاقي إسرائيل انتقادًا لاذعًا. وفعلًا، أبدى الوفد الإسرائيليّ مرونة في شأن هذه الصيغ من أجل أن يكسب دعمًا كاسحًا لأعضاء الجمعية. لكنّه كان يعلم جيّدًا – هكذا يجب أن نخمّن – أنّ هذه التفاصيل الصغيرة – في نهاية المطاف – أقلّ أهمّية. وما سيرسخ في الوعي العالميّ هو يوم ذكرى المحرقة الدولية التي ترتبط بكارثة اليهود وبدولة إسرائيل، حتّى إذا لم يُقل ذلك بوضوح. كانت هذه – بدون أدنى شكّ – إستراتيجية إعلامية ناجحة جدًّا. ففعلًا يُحتفى بيوم المحرقة الدوليّ كلّ عام في جميع أنحاء العالم، وهو يُحسب بشكل مطلق، تقريبًا، على معاناة اليهود فقط، وفي حالات كثيرة جدًّا على دولة إسرائيل، أيضًا. وإنّ أفكار حقوق الإنسان التي يؤكّدها هذا القرار إلى حدّ بعيد تُقصى جانبًا عادة، وهي بالتأكيد غير مذكورة في أيّ سياق نقديّ ما لإسرائيل.[١٥]

تعريف اللاسامية وإخفاقاتها

لكن في سنة ٢٠٠٥ وقع، أيضًا، حادث ثالث، أقلّ احتفالية بكثير، هو، عمليًّا، مبتذل ومستهلك تمامًا، لكنّه تطوّر ليصبح، لاحقًا، ذا تأثير كبير على الحوار في موضوع إسرائيل – فلسطين، وعلى تمكين رواية المحرقة وإقصاء الرواية الفلسطينية اللا كولونيالية. وخلال السنتين ٢٠٠٣–٢٠٠٤ عمل بضعة أطقم من إسرائيل، الولايات المتحدة، ودول أخرى، ومن بينهم، أيضًا، باحثون مثل البروفسور يهودا باور والبروفسور دينا پورات، على صياغة تعريف للاسامية، يكون من الممكن من خلاله متابعة الظاهرة ومراقبتها. وقد قاد هذه العملية إلى حدّ كبير كنث سترن من اللجنة اليهودية الأميركية American Jewish Committee ومعه Andrew Baker اللذان نجحا في إقناع جسم مهمّ للاتّحاد الأوروبيّ بتبنّيها في نضالها ضدّ اللاسامية. في بداية سنة ٢٠٠٥ قبلت European Monitoring Centre on Racism and Xenophobia - EMCR (now subsumed in the European Union's Fundamental Rights Agency - EUFRA) التعريف كتعريف عمل لغرض جمع معطيات عن حجم الظاهرة، التي – حسب رأيهم – أخذت بالتوسّع في أوروبا وفي الولايات المتحدة، أيضًا. قبلت الـ EMCR التعريف، لكنّها لم تتبنّه بشكل رسميّ.[١٦] بل عكس ذلك هو الصحيح. كانت هناك جهات كثيرة انتقدت التعريف لأسباب عديدة، باعتباره غير دقيق ويشوبه النقص، وقد أُسقِط – في نهاية المطاف – من موقع الإنترنت الرسميّ لـ EMCR والجسم الذي حلّ محلّه، الـ EUFRA . ومع ذلك، فمن هنا فصاعدًا حظي التعريف بالحياة من تلقاء نفسه، وقد بدأت أجسام يهودية وكذلك جهات أكاديمية مصرّة بدفعه إلى الأمام، بينما هو يراكم مؤيّدين بالغي التأثير من داخل ومن خارج الأجهزة السياسية في أوروبا والولايات المتحدة. ففي عام ٢٠٠٩، مثلًا، تبنّت وزارة الخارجية الأميركية صيغة معيّنة للتعريف. ولكن – على حدّ قول كنث سترن، وهو من واضعي صيغة التعريف المركزيّين، والذي كان، أيضًا، واحدًا من الشخصيّات المهيمنة في نشره، التعريف الذي سُمّي (وهو يُسمّى كذلك حتّى اليوم) «تعريف عمل»Working definition لم يأتِ لأغراض التشريع أو التسوية الدولانيّة أو المؤسّسية (في الجامعات، مثلًا). لقد جاء، فقط لا غير، لأغراض جمع المعلومات (ولهذا السبب، عندما يتّضح أنّه يُستخدم كأداة شبه قانونية سيصبح – بعد مضيّ عقد، تقريبًا – أحد معارضيه المركزيّين). لكن لم يعتقد الجميع كذلك، وقد بدأ يُستخدام التعريف أكثر فأكثر في الحالات القانونية أو شبه القانونية ضدّ متحدّثين نقديّين عن إسرائيل وسياستها.

ورغم أنّ التعريف قد تغيّر على مرّ السنين إلّا أنّه ظلّ شبيهًا في جوهره.[١٧] لقد اشتمل في بدايته على تعريف ضبابيّ وعامّ للاسامية، وبعده قُدمت أمثلة لما يمكن اعتباره نشاطًا معاديًا للاسامية، حيث إنّ قسمًا كبيرًا منها – إن لم يكن أغلبها – يتطرّق إلى إسرائيل– أو إلى أي تطرّق نقديّ أو سلبيّ تجاه إسرائيل بدا وكأنه معاد للسامية. لقد وصل التعريف إلى نوع من القوننة عام ٢٠١٦، حيث إنّ جسمًا دوليًّا يُسمّىInternational Holocaust Remembrance Alliance (IHRA) قد تبنّاه،

إنّ تسلسل الأحداث الدراماتيكية للعقدين الأوّلين من الألفية الثالثة أدّى إلى حالة من العداء الآخذ في التفاقم تجاه العالم العربيّ والإسلاميّ، وجعلت العالم بأسره يجنح نحو اليمين. لقد تمّ تفضيل القيم القومية على القيم الكونيّة، وقد أصبح الحديث عن المحرقة اليهودية أداة مهمّة في تأسيس هذه النزعة.

وقام، عمليًا، بدعوة الدول الأعضاء في المنظمة إلى قبوله كأداة ناجعة في النضال ضدّ اللاسامية. هذا الجسم الذي أنشأه عام ١٩٩٨ رئيس الوزراء السويديّ حينها، وتمأسس عام ٢٠٠٠، هو أحد النتاجات الواضحة والصريحة لعولمة رواية المحرقة وتمأسسها السياسيّ على المستوى الدوليّ الأعلى. يضمّ هذا الجسم، اليوم، نحو أربع وثلاثين دولة غربية أعضاء (ومن ضمنها دول من شرق أوروبا، الأرجنتين، وإسرائيل) كما أنّ له تأثيرًا كبيرًا على أجسام السلطة في الدول نفسها. يمثّل هذه الدول موظّفو دولة كبار، وكذلك أكاديميّون كبار.[١٨]

وقد كان للتعريف تأثيره البالغ على الخطاب العالميّ في شأن إسرائيل – فلسطين، حيث إنّه يجعل – مثلما سنمثّل لذلك لاحقًا في الحال – من كلّ نقد جوهريّ موجّه ضدّ إسرائيل والصهيونية لاساميًا، وإنّه، عمليًا، يبرز – من خلال سبعة من بين الأمثلة الأحد عشر المصاحبة لتعريف الأساس – بعضًا من المركّبات الأساس للراوية الفلسطينية كلاسامية، وهو بذلك ينزع عنها شرعيّتها. يمكن أن نلاحظ فيه كيف أنّه يواجه بصورة مباشرة ومكشوفة، تقريبًا، الاتّهامات ضدّ إسرائيل والصهيونية التي صيغت في مؤتمر ديربان، والتي عكست جوّ نشطاء كثيرين في السنوات الأولى من سنوات الألفين. وكما سبق وذكرنا، إنّ تسلسل الأحداث الدراماتيكية للعقدين الأوّلين من الألفية الثالثة أدّى إلى حالة من العداء الآخذ في التفاقم تجاه العالم العربيّ والإسلاميّ، وجعلت العالم بأسره يجنح نحو اليمين. لقد تمّ تفضيل القيم القومية على القيم الكونيّة، وقد أصبح الحديث عن المحرقة اليهودية أداة مهمّة في تأسيس هذه النزعة. لقد تحوّلت المحرقة، تدريجيًا، من حدث يُستخدم للحديث عن حقوق الإنسان والنظام العالميّ الـ(نيو) ليبيراليّ لبداية سنوات الألفين (رغم أنّه لم يوجّه أمر كهذا ضدّ إسرائيل)، إلى حدث يخدم ذكره – إلى حدّ بعيد – أجندة قومجية، حتّى إنّها حادّة أحيانًا، استعراقية جدًا، تركّز على اليهود فقط، وليس على قيم كونيّة.

هيّا نتوجّه، إذًا، إلى تفاصيل التعريف، أو بوجه أصحّ إلى بعض من بين الأمثلة الأحد عشر الملحقة به، من أجل الوقوف على أضرارها. الأمثلة الأولى للتعريف شاملة جدًا، ومفهومة ضمنًا تقريبًا. هكذا، مثلًا، الدعوة إلى قتل اليهود أو التمييز ضدّهم، إلقاء المسؤولية على اليهود كلّهم، من جرّاء أعمال يرتكبها أفراد أو مجموعات، أو إنكار المحرقة – تُعتبر لاسامية. لكن، لاحقًا، تأتي الأمثلة الإشكالية. وفيما يلي واحد منها يحدّد أنّ الموقف التالي، أيضًا، هو لاساميّ:

Denying the Jewish people their right to self-determination, e.g., by claiming that the existence of a State of Israel is a racist endeavor.

لا يميّز المثال بين الاعتراف المبدأيّ بحقّ تقرير المصير لليهود وبين تحقيقه في فلسطين – أرض إسرائيل، التي سبق أنّها مأهولة بمجتمع أصلانيّ؛ أي بالفلسطينيّين. وبذلك، إنّه يجعل من النضال السياسيّ ضدّ مشروع كولونياليّ استيطانيّ نضالًا عنصريًا ولاساميًا. زيادة على ذلك، إنّ مجرّد الإعلان عن المشروع الكولونياليّ الاستيطانيّ ككذلك، جاء ليخدم مجموعة عرقية واحدة فقط، مفضّلة على تلك المجموعة الأصلانية، من الممكن أن يُعتبر كلاساميّ. وإنّ هذاالبند ليس نفيًا مطلقًا للإجماع الفلسطينيّ والعربيّ فقط، لا بل، أيضًا، نفي لمجرّد منطق وصلاحية الرواية اللا/الما بعد كولونيالية كلّها بالنسبة إلى إسرائيل – فلسطين. إنّه يبرزها، عمليًا، كلاسامية، حيث إنّها تواصل، ضمنيًا، فظائع المحرقة التي بنفاذها أخذ هذا الجسم – الـ IHRA – على عاتقه صلاحية أن يعرّف اللاسامية

هكذا. تصبح الضحية هي الجلّاد، واستمرارًا لقاتلي اليهود. وما يُعتبر شرعيًا وحتّى تحرّريًا بالنسبة إلى السود في جنوب إفريقيا مثلًا، يُعتبر كلاساميّ وعنصريّ بالنسبة إلى إسرائيل.

لكن أزيَد من ذلك، الادّعاء بأنّ هذه الدول وغيرها مبنيّة على أساس قاعدة من العنف العنصريّ وُجّه ولا يزال يُوجّه – بشكل شرعيّ تمامًا – تجاه دول هي نتاج كولونيالية استيطانية، مثل الولايات المتحدة، كندا، وأستراليا، وكذلك دول ليست كهذه، مثل فرنسا. إنّنا نشهد اليوم الطريقة التي تجعل بها حركة الـBlack Lives Matter مثلًا هذا الادّعاء مقبولًا على التيّار المركزيّ بالنسبة إلى الولايات المتحدة. فلماذا، إذًا، يُعتبر هذا الادّعاء بالنسبة إلى إسرائيل والصهيونية لاساميًا؟

هذا البند من التعريف، الذي يتناول – على ما يبدو – اللاسامية، يتدخّل، إذًا، بصورة فظّة في النضال الطويل الأمد في إسرائيل – فلسطين، ويفضّل رواية واحدة (الإسرائيلية) على رواية تاريخية أخرى (العربية). لكنّه، أيضًا، يحمل في طيّاته تناقضًا داخليًا. وإنّ الطريق الوحيدة لتبرير إنكار حقّ الشعب اليهوديّ في تقرير المصير كلاساميّ هو بافتراض أنّ هذا حقّا كونيًا منْعه عن اليهود هو بمثابة تمييز عنصريّ. ولكن إذا كان هذا، فعلًا، حقًا شموليًا فكيف يجب التعامل مع إنكار حقّ الفلسطينيّين في تقرير المصير؟ إنّ هذا الإنكار – على ما يبدو – كان يجب أن يكون معرّفًا كعنصرية أو كرُهاب إسلام [إسلاموفوبيا] بالقدر نفسه، لكنّ التعريف يصمت في هذا الشأن، حيث إنّ هذا الموقف يُعتبر كشرعيّ في إسرائيل، وكذلك في العالم كلّه. لكن بذلك يبتر التعريف الفرضية الأساس النظرية التي هو نفسه يستند إليها. وعمليًا، إنّ السياسة العملية لحكومات إسرائيل هي زعزعة هذا الحقّ الخاصّ بالفلسطينيّين من أساسه، حتّى إنّ جهات سياسية مهمّة في إسرائيل وخارجها تصرّح بذلك بوضوح.

إنّ العبث البادي للعيان هو أنّه على الرغم من هذه الحالة من عدم التوازن التي يعبّر عنها التعريف (في أمثلة أخرى أيضًا، ليس هذا هو المكان للوقوف عندها)، يهتمّ التعريف، أيضًا، بتقديم إسرائيل كضحية لخطاب كراهية مبالغ فيها. وهكذا يحدّد التعريف أنّ اللاسامية هي، أيضًا:

Applying double standards by requiring of it a behavior not expected or demanded of any other democratic nation.

يهود منحازون للضحية الفلسطينية.

هذا الادّعاء هو، طبعًا، عبثيّ من أيّ زاوية ننظر منها إليه. إنّه يقدّم إسرائيل كدولة ديمقراطية، كأنّه ليس هناك احتلال وليس هناك ضمّ، وكأنّه ليس هناك تحت سيطرة إسرائيل ملايين السكان المجرّدين من الحقوق. كما أنّ هذا المثال ينتج وصفًا كاذبًا كأنّ هناك سقفًا ثابتًا من النقد على الصعيد الشعبيّ والدوليّ، حيث إنّ اللاساميّين، فقط، يتجاوزونه. هل النقد الشعبيّ ضدّ جنوب إفريقيا في زمن نظام الفصل العنصريّ [الأپارتهايد] (التي كانت فيها، أيضًا، مؤسّسات ديمقراطية للبيض)، الولايات المتحدة في زمن حرب ڤيتنام وفي فترة ترامب، أو فرنسا في زمن حرب الاستقلال الجزائرية، وهلمّ جرًا، كان أقلّ حدّة من النقد الموجّه تجاه إسرائيل؟

الأمر الواضح هو أنّ التعريف يطبّع ويكرّس حالة الاحتلال والتمييز المتواصلة لإسرائيل ويجعلها مشكلة معقولة، حيث إنّ النقد الموجّه إليها يجب ألّا يكون «متطرّفًا» أكثر من اللازم؛ وبدلًا من الحكم على الانتقاد الحادّ ضدّ إسرائيل داخل سياق حركة تحرّر وطنيّ لاكولونيالية، يُحكم عليه من خلال رواية المحرقة واللاسامية كاستمرار لكراهية اليهود الطويلة الأمد. وبذلك يُنتج التعريف، طبعًا، تأثيرًا مخفّفًا غائبًا عن أيّ حوار سياسيّ نقديّ آخر، وهو يُكسب إسرائيل بذلك حقوقًا إضافية في جميع ما يتعلّق بكبت حقوق المواطن والإنسان التي لا تُعطى لدول أخرى على الصعيد الدوليّ. فإنّ كلّ من يريد انتقاد إسرائيل أو مهاجمة سياستها مطالب – قبل أيّ شيء – بإثبات أنّ انتقاده لا يتعدّى أيّ معيار دوليّ متخيّل. وهذا – بلا شكّ – فعّال! وإنّ لذلك ما لا حصر له من الأمثلة: محاضِرة في إنـچكلترا كتبت قائمة نقدية ضدّ إسرائيل في أعقاب زيارة إلى بيت لحم، طوردت

ستّ سنوات بعد ذلك، من قبل عضو برلمان محافظ، إلى أن اضطُرّت إلى الانتقال إلى جامعة أخرى. المنظمات التي تدعم الـ بي دي إس تجد صعوبة في العثور على أماكن لتقيم فيها مناسبات، وحساب البنك الخاصّ بمنظمة يهودية في ألمانيا تدعم الـ بي دي إس أُغلق بادّعاء أنّها لاسامية. يتراكم كلّ ذلك ليشكّل تأثيرًا مخفّفًا يؤدّي، أيضًا، إلى رقابة ذاتية حادّة. فمن ذا الذي سيرغب حتّى بالاقتراب من مناطق يمكن أن يُتّهم فيها باللاسامية – وهو اتهام يمكن أن يقضي على المستقبل المهنيّ لأيّ إنسان؟

لكن فيما هو أزيَد من ذلك، إنّنا نواجه هنا، مرّة أخرى، مشكلة جوهرية. اللاسامية في العصر الحديث هي، أوّلًا وقبل كلّ شيء، أشكال من العنف والعداء وجّهتها الدولة ومؤسّساتها أو وجّهها مجتمع الأغلبية تجاه اليهود كأقلّية. إنّ مقاومة اللاسامية جاءت لحماية اليهود من قوّة الأغلبية ومن قوّة الدولة. ولهذا السبب هناك فرق كبير يتجاهله التعريف كما تتجاهله بالمطلق علاقة رواية المحرقة واللاسامية الحكرية بدولة إسرائيل، بين معنى العداء تجاه اليهود كأبناء جالية أقلية فاقدة للقوّة السياسية أو العسكرية الذاتية، وبين العداء تجاه دولة – دولة إسرائيل – هي مؤسّسة بالغة القوّة ومحتكرة للعنف الموجّه بموجب إرادة الأغلبية اليهودية فيها. إنّ الحدّ من قوّة أيّ دولة – بما فيها إسرائيل – وانتقاد الطريقة التي تفعّل بها القوّة الكبيرة التي تمتلكها، لا يشبه العداء تجاه أفراد أو مجتمعات أقلية كهذه – وبضمنها اليهود خارج إسرائيل – الخاضعين بشكل اختياريّ لتعامل الدولة الاعتباطيّ أو للعنف من جانب مجتمع الأغلبية. وعليه، إنّ فكرة مقاومة اللاسامية تلزم حماية الأقلية ومعدومي الحقوق في إسرائيل من الدولة اليهودية، أكثر بكثير من حماية الدولة اليهودية من انتقادات وأقوال عدائية تجاه سياستها في تعاملها مع مجموعات الأقلية تلك ومسلوبي الحقوق.

لا أبغي الادّعاء أنّه ليس هناك عداء تجاه دولة إسرائيل هو نابع من دوافع لاسامية. كما أنّني أعترف بأنّ العداء السياسيّ تجاه إسرائيل يصبح، أحيانًا، كراهية متّقدة تجاه جميع اليهود، وأنّه، أحيانًا، يستخدم النضال ضدّ دولة إسرائيل والصهيونية بأوصاف أو بنصوص لاسامية، وهو بذلك يصبح بنفسه لاساميًا. إلّا أنّ تعريف الـIHRA لا يناقش هذه الحالات، لا بل يجري نزع شرعية عن مركّبات الرواية الفلسطينية اللاكولونيالية بتعريفه إيّاها كلاسامية وعنصرية، وهو بذلك يُحدث إرباكًا بين الضحية والجلّاد.

وصلت هذه البلبلة إلى وضع چـروتسكيّ فعلًا في النضال الذي لا يعرف المساومة الذي تديره دولة إسرائيل وشركاؤها ضدّ حركة الـ بي دي إس. ولهذا السبب، أُقيم في إسرائيل، كما سبق وذكرنا، مكتب استخباراتيّ كامل، حسب ما كشفت تحقيقات قناة الجزيرة باللغة الإنـكـليزية (بالنسبة إلى بريطانيا وبالنسبة إلى الولايات المتحدة)، يعمل على حدّ الخيط الرفيع، وحتّى فيما بعده، بين القانونيّ وغير القانونيّ في التدخّل في القضايا الداخلية لدول أجنبية وفي تعقّب مواطنيها الذين يُشتبه في أنّهم نشطاء بي دي إس. هذه المعركة معركة سياسية، شعبية، ودبلوماسية، وهي، حتّى الساعة، تحقّق النجاح. وهكذا في ألمانيا اتُّخذ في أيّار العام ٢٠١٩ قرار مبنيّ على أساس تعريف الـ IHRA الذي يعتبر حركة الـ بي دي إس لاسامية. حتّى إنّه قد تمّ في ألمانيا من سنة ٢٠١٧ تعيين مندوب اتّحاديّ [فدراليّ] خاصّ لمقاومة اللاسامية (فليكس كلاين) الذي قاد هذه العملية والذي يكرّس جهده بالأساس لمقاومة الـ بي دي إس وكلّ ما يُعتبر وفق روح تعريف الـ IHRA لاساميًا.

لقد ظهرت هذه البلبلة خلال النقاش الجماهيريّ الذي دار حول قرار البرلمان الألمانيّ. عندها جاء الادّعاء أنّه يجب ألّا يسمح الألمان بمقاطعة منتجات يهودية من إسرائيل على أرض ألمانيا، التي قاطع فيها النازيّون مصالح تجارية يهودية في سنوات الثلاثينيات. ولهذا، ادّعت تلك الجهات المنصفة أنّه يجب عليهم استنكار مثل هذه المقاطعة باعتبارها لاسامية ولا تمكن مسامحتها. إنّ البلبلة الحاصلة بين المقاطعة العنصرية والعنيفة لأقلية لا حول لها ولا قوّة وبين مقاطعة دولة عظمى إقليميًا تخلّ بالقانون الدوليّ بفظاظة، وعلى أساس عرقيّ، أيضًا، بحقوق قسم كبير من سكّانها، تصبح ممكنة حتّى إنّها تبدو طبيعية داخل رواية المحرقة اليهودية واللاسامية التي تبنّاها الغرب. وفي نهاية المطاف تمّ اتّخاذ القرار بدعم كاسح تقريبًا لكلّ أجزاء البوندستاج [المجلس التشريعيّ الاتّحاديّ] الألمانيّ. إنّ هذا القرار يعبّر عن جوّ غالبية القوى السياسية في ألمانيا والتي عبّرت عنها أنـغيلا مركل، التي ادّعت أنّه لسبب وِزر التاريخ الجاثم على ألمانيا فإنّ الحفاظ على أمن إسرائيل هو جزء من جوهر السياسة الخارجية الألمانية.[١٩]

وتم اتخاذ قرار ذي طابع شبيه بعد ذلك ببضعة أشهر في الجمهورية التشيكية التي ليس فيها حركة بي دي إس إطلاقًا. وفي كانون الأوّل من العام نفسه اتّخذت الجمعية الوطنية

الأمر الواضح هو أنّ التعريف يطبّع ويكرّس حالة الاحتلال والتمييز المتواصلة لإسرائيل ويجعلها مشكلة معقولة. حيث إنّ النقد الموجّه إليها يجب ألّا يكون «متطرّفًا» أكثر من اللازم؛ وبدلًا من الحكم على الانتقاد الحادّ ضدّ إسرائيل داخل سياق حركة تحرّر وطنيّ لاكولونيالية، يُحكم عليه من خلال رواية المحرقة واللاسامية كاستمرار لكراهية اليهود الطويلة الأمد.

الفرنسية قرارًا يتبنّى تعريف الـ IHRA (لكن بعد نضال شعبيّ – بدون الأمثلة)، وقد عرّفت بوضوح اللا صهيونية كشكل من أشكال اللاسامية. ومن أدرك معنى هذا الأمر كان يئير نتنياهو، نجل بنيامين نتنياهو وبوقه الفظ، وهكذا كتب في صبيحة اليوم التالي لاتّخاذ القرار: «هل تستوعبون أنّ البرلمان الفرنسيّ، عمليًا، قد أقرّ بأنّ أحمد طيبي، أيمن عودة، وكلّ القائمة المشتركة هم لا ساميّون؟»[٢٠] لقد أدرك نتنياهو الابن أنّ نتيجة رواية المحرقة ولاسامية الغرب، عمليًا، هي نزع كامل للهُوية الوطنية الفلسطينية.

على أيّ حال، إنّ نضالات بهذه الروح تحدث، أيضًا، في أماكن أخرى في أوروبا والولايات المتحدة. لقد اتُّهم حزب العمّال البريطانيّ باللاسامية خصوصًا على خلفية انتقاد لاذع وجّهه زعيمه جرمي كوربين لإسرائيل، وعلى خلفية تعابير مشجّعة أعرب عنها تجاه حماس وحزب الله. كان هذا أحد العوامل لسقوطه في انتخابات العام ٢٠١٩. وفي الولايات المتحدة تمّ استخدام تعريف الـ IHRA بالتدخّل المباشر لإدارة ترامب في جهاز التعليم العاليّ العامّ. يجدر التأكيد على أنّ جميع هذه التطوّرات تدفع بها دولة إسرائيل بعنف، لكنّها ليست وحدها في ذلك. يقف إلى جانبها، دائمًا، منظمات يهودية ومنظمات صهيونية غير يهودية، لكن، أيضًا، قوًى سياسية متنوّعة جدًا تتماهى مع هذه المواقف لأسباب فكرية. أوّلًا وقبل أيّ شيء المحافظون الذين يميلون إلى ذلك في كلّ مكان، لكن في أغلب الحالات اليسار المعتدل، أيضًا، وأحيانًا، أيضًا، فروع من اليسار الراديكاليّ. ومؤخّرًا، يميل اليمين الأصوليّ والشعبويّ أكثر فأكثر في أوروبا، الذي توجد له، في أحيان متقاربة، جذور نازيين جدد أو فاشيين جدد، والذي في محاولته إنكار هذه الصبغة وتبييض مواقفه العنصرية أصبح الداعم الأبرز لدولة إسرائيل. هكذا هي، مثلًا، حركة البديل لألمانيا AfD التي يستنكرها كلّ الطيف السياسيّ في ألمانيا، لكن تغازلها بحرارة أُطر يمينية إسرائيلية، وقد حظيت بمنصّة للتعبير عن مواقفها الموالية لإسرائيل والموالية للمستوطنين في قناة الإعلام الرئيسة لليمين الاستيطانيّ في إسرائيل – «القناة ٧». ويبدو أنّ معاداة العرب والإسلاموفوبيا الحادّة توحّد هذين المعسكرين.

كنت في السنة الأخيرة مشاركًا مع نشطاء إسرائيليين ويهود آخرين في عدّة نضالات منهكة ضدّ هذه النزعات، على جميع الصُّعُد الأوروبية. وكذلك في الولايات المتحدة وكندا توجد مجموعات تناضل ضدّ هذه النزعات. وإنّ إحدى هذه المجموعات ذات النجاحات اللافتة هي مجموعة نشطاء يهود كنديين Independent Jewish Voices نجحت في منع تبنّي تعريف الـ IHRA في عدّة مدن في كندا.[٢١] لكن بالمجمل، إنّ انتصار رواية المحرقة اليهودية واللاسامية بصيغتها الأوروبية المحافظة والإسرائيلية الوطنية يحظى بنجاحات مدوّية، وقد سيطر على السياسة الدولية والجدل الشعبيّ.

رواية المحرقة المحافظة والـ exceptional - شبه تلخيص

يشير انتصار رواية المحرقة اليهودية بصيغتها المحافظة والاحتكارية إلى الطريق الطويلة التي قطعتها رواية المحرقة اليهودية واللاسامية منذ سنوات الستينيات وحتّى أيّامنا. كانت هذه الرواية في بدايتها رواية يسار تمكّنيّ وتحرّريّ تبنّاها جيل سنوات الستينيات – أبناء مُحْدثي المحرقة والحرب العالمية الثانية في ألمانيا وفي بلاد أخرى – الذين

طالبوا أهاليهم بتقرير نقديّ عن الكوارث التي جاءوا بها إلى أوروبا وإلى العالم أجمع. انطلاقًا من هذا الوعي طالبوا بإصلاحات ديمقراطية تقدّمية جذرية. كان هذا جيلًا متمرّدًا حطّم الأساطير الوطنية وتبنّى المحرقة اليهودية كرواية مضادّة (counter narrative) نقدية ضدّ قيم البرجوازية الوطنية الأوروبية. لقد مال المركَز واليمين المحافظ بأغلبيتهما إلى معارضة ذلك بقوّة، لأنّهما اعتبرا هذا الوعي إهانة للأمّة وخيانة للوطن. كانت رواية المحرقة اليهودية واللاسامية في سنوات التسعينيات قد أصبحت ما يشبه الاتجاه السائد [المينستريم] للتيارات الما بعد قومية والنيو ليبرالية للاتحاد الأوروبيّ، الذي أقسم باسم هذه الرواية على أن يقدّس حقوق المواطن والإنسان. لكن من حينها أبدت الدول الأوروبية تسامحًا كبيرًا تجاه دولة إسرائيل وسياسة الاحتلال والاستيطان، لأنّها اعتُبرت وريثة ضحايا المحرقة.

وشيئًا فشيئًا، وبزخم أكبر، من سنوات الألفين، في أعقاب التطوّرات التي تطرّقنا إليها أعلاه، أصبحت هذه الرواية، أيضًا، جزءًا من الهُوية المحافظة، وأحيانًا حتّى جزءًا من الهُوية الشعبوية واللا ديمقراطية. بالنسبة إلى مجموعات اليمين السياسيّ حكاية المحرقة اليهودية هي حكاية أوروبية داخلية، ولهذا السبب، استثنائيًّا ليس من الضروريّ ربطها بحقوق مواطن وإنسان موسّعة. ضدّ ذلك هو الصحيح، ففي أحيان متقاربة تندمج مع قصّة وطنية لرُهاب الأجانب وشوفينية إسلاموفوبية تعارض الهجرة. وهكذا، مثلًا، بولندا والمجر، الدولتان ذواتا نظامي الحكم الأكثر شعبوية ولا ديمقراطية في الاتحاد الأوروبيّ، تخلّدان ذكرى المحرقة اليهودية لكنّهما تدّعيان – بخلاف أيّ معرفة تاريخية – أنّهما لم تكن لهما مساهمة في تنفيذها. إنّ ذلك يكفي إسرائيل الرسمية، لأنّ الجانبين يعتبر كلٌّ منهما الآخر حليفًا مخلصًا في نضالهما الإسلاموفوبيّ ضدّ المهاجرين من جهة، وضدّ الفلسطينيّين من جهة أخرى. وبهذا استُكمل بالنسبة إلى قطاعات واسعة في أوروبا تبييض اليهوديّ، الذي كان على مرّ أجيال الـ «لآخر» المثاليّ لأوروبا المسيحية. وهكذا، أيضًا، تحوّلت قصّة المحرقة اليهودية واللاسامية من حكاية نقدية تحرّرية – بالنسبة إلى قطاعات كبيرة في أوروبا وفي الغرب، على الأقلّ – إلى قصّة محافظة تندمج، أحيانًا، مع موروث قومجيّ إسلاموفوبيّ وكسنوفوبيّ [خاصّ برُهاب الأجانب].

ومع ذلك، يجب أن نذكر أنّه من المحتمل أنّنا موجودون الآن على شفير تغيير – وإن لم يكن دراماتيكيًّا – في موازين القوى.

إنّ هذا الصدام بين الروايتين وصل إلى نوع من الذروة، ولربّما، أيضًا، أدّى إلى تحوّل معيّن في ألمانيا في الجدل الشعبيّ الذي جرى هناك حول دعوة المفكّر الكاميرونيّ (الذي يعيش في جنوب إفريقيا) أشيل مبمبي Achille Mbembe إلى افتتاح مهرجان مهمّ في ألمانيا (روهر تريانله). في أيّار العام ٢٠٢٠ كشف فليكس دويتش، عضو حزب ثانويّ في الحزب الليبراليّ الألمانيّ FDP عن بضع جمل حادّة كتبها مبمبه عن إسرائيل في الكتاب المكرّس للنظرية السياسية النقدية. لقد عرّف مبمبه الاحتلال كإحدى الفضائح الكبرى في عصرنا. كما أنّه كتب أنّه على الرغم من الفروق الكبيرة بين الحدثين فإنّ نظام الفصل العنصريّ في جنوب إفريقيا والنازية موجودان – بمفاهيم معيّنة – على خط اصطلاحيّ واحد. وبنوع من العفوية الاستجابية [البافلوفية] اعتبر هذه التصريحات لاسامية وإهانة للمحرقة اليهودية، ودعا إلى إلغاء دعوة مبمبه. انضمّ إليه المندوب الفدراليّ لمحاربة اللاسامية، فليكس كلاين. وعلى الرغم من معارضته لمصطلح «ما بعد الاستعمارية» فإنّ مبمبه يُعتبر أحد الفلاسفة الأشهر والأكثر تقديرًا في العالم بهذا الموروث الفكريّ والسياسيّ. إنّ الدعوة إلى مقاطعته وتصنيفه كلاساميّ كانت بالنسبة إلى كثيرين نقطة تحوّل. وفي أعقاب ذلك، نشأ جدل علنيّ عندما – ولأوّل مرّة – وجدنا شخصيّات مينستريمية (تنتمي للتيار الرئيسي) من الأكاديميا، من الصحافة، ومن الثقافة (لكن – وبشكل بارز – ليس من السياسة) عبّروا عن رأيهم علنًا ضدّ خطاب اللاسامية الذي تحوّل من حوار تحرّريّ يدافع عن حقوق اليهود إلى حوار قهريّ واستبداديّ يقيّد حريّة التعبير، ويكتم أصواتًا مهمّة من العالم غير الأوروبيّ.[٢٢]

من الجدير بالذكر – في هذا السياق – أنّ هذه الأصوات النقدية، أيضًا، والتقدّمية في ألمانيا خصوصًا وفي أوروبا عمومًا لا تنفي قصّة المحرقة اليهودية واللاسامية. ضدّ ذلك هو الصحيح. إنّهم يعتبرونها حجر أساس لفكرهم التقدّميّ، كما يعتبرون إنكارها خطيئة عنصرية لا تُغتفر. ومن خلال ذلك أيضًا، نجد أنّ شرعية دولة إسرائيل والالتزام تجاه بقائها مطلقان. إنّه إجماع يشمل كلّ الطيف السياسيّ عدا هوامش متطرّفة جدًا في اليمين واليسار. إلّا أنّ هذا القوى التقدّمية تبحث، الآن، عن طريق لتدمج – من جديد – بين هاتين الروايتين

بشكل عامّ، وأيضًا في سياق إسرائيل – فلسطين، ومن خلال ذلك، أيضًا، تطالب بفتح الحوار على حلول سياسية لدولة واحدة أو حلول ثنائية القومية.

تصل، أيضًا، أصوات مشجّعة من المحاكم في أوروبا. فثلاث محاكم في ألمانيا قد قضت بأنّه يُحظر على البلديّات التمييز ضدّ مجموعات على خلفية دعم الـ بي دي إس (مثلًا، بتخصيص قاعة عامّة للاجتماع). كما أنّ المحكمة لحقوق الإنسان التابعة إلى الاتحاد الأوروبيّ قضت قبل بضعة أيّام، في ١١ حَزيران ٢٠٢٠ بأنّه يُمنع تقييد حرّية تعبير داعمي الـ بي دي إس، ويُحظر منع الدعوة إلى مقاطعة إسرائيل، طالما أنّها موجّهة كانتقاد لدولة إسرائيل ولسياستها – وذلك بخلاف ما قضت به محكمة فرنسية.

إجراءات مشابهة ولربّما حتّى أقوى تحدث في الولايات المتحدة، أيضًا. لقد أعادت حركة Black Lives Matter في الولايات المتحدة وفي العالم كلّه الرواية اللاكولونيالية واللاعنصرية إلى مقدّمة المسرح. من الممكن أن يغيّر صعود السياسة الأصولية في الولايات المتحدة وتأسّس احتجاج السود موازين القوى بين الروايتين، وأن يمنح شرعية متجدّدة على الصعيد السياسيّ، أيضًا (وليس على الصعيد الأكاديميّ والنشاطيّ، فقط) للرواية الما بعد كولونيالية، والتي تحظى في إطارها الرواية الفلسطينية والقضايا التي تحملها معها برنين وتصديق.

أنا عن نفسي، فإنّني أعتقد أنّ رواية المحرقة اليهودية كما الرواية اللا / الما بعد كولونيالية هما روايتان تاريخيّتان، حيث إنّ هناك واجبًا أخلاقيًّا للاعتراف بهما وتبنّيهما. إنّهما تشيران إلى الأسس الكارثية للثقافة الغربية الحديثة، ولكونهما كذلك ففي كلّ منهما توجد، أيضًا، قدرة تحرّرية أصولية كامنة. هكذا، أيضًا، في السياق الإسرائيليّ – الفلسطينيّ. إنّ تبنّي هاتين الروايتين معًا في سياق إسرائيل – فلسطين صعب جدًا حقًّا، لكنّه ضروريّ، سواء أكان ذلك من ناحية أخلاقية أم من ناحية سياسية. إنّه يعطي أملًا لمصالحة تاريخية، حيث إنّه يقود – حسب فهمي – إلى التفكير بطريقة ثنائية القومية وتكافؤية تمامًا في النزاع، وكذلك في حلّه. لقد أعربت عن موقفي بالاشتراك مع المفكّر الفلسطينيّ بشير بشير، في عدّة نشرات، ومن ضمنها الكتاب الذي حرّرناه معًا وعُنوانه: The Holocaust and the Nakba: A New Grammar of Trauma and History[23] رغم مخاوفنا قوبل الكتاب في أوساط واسعة في الولايات المتحدة وفي أوروبا باهتمام كبير. وإنّ ذلك، أيضًا، يعبّر – في رأيي – عن تغيّر معيّن.

صحيح أنّ هذه التغييرات تعطينا أملًا، لكنّ النضال بعيد جدًا عن نهايته. الضدّ هو الصحيح. لا تزال رواية المحرقة اليهودية واللاسامية في سياق إسرائيل – فلسطين، بصيغتها المحافظة هي المهيمنة في المؤسسات السياسية والشعبية في أوروبا. إنّ أجهزة بأكملها في الدول الأوروبية، في الاتحاد الأوروبيّ، وكذلك في الولايات المتحدة، وكذلك في دول أخرى، تريد الحفاظ على هيمنتها. إنّ النضال ضدّها مركّب ومعقّد جدًا، وتجب إدارته بحكمة وذكاء. لكن، أيضًا، يجب فهم معناها ومضمونها الواحد والوحيد من وجهة نظر حكومات إسرائيل في العقد الأخير، بقيادة بنيامين نتنياهو، التي تدفع بها إلى الأمام بلا كلل ولا ملل (لكن ليس بالضرورة من وجهة نظر كلّ مؤيّديها في أوروبا والولايات المتحدة): إنّه – في نظري – جزء من جهد منسّق، معلوم، ومتعدّد الاتجاهات، أصرّ عليه، مثلًا، إيلان پاپه في سياق آخر،[24] من أجل إخضاع الحركة الوطنية الفلسطينية بشكل نهائيّ، نزع شرعية روايتها التاريخية، وفي أعقاب ذلك، أيضًا، شرعيّتها الدولية. إنّها محاولة لإنهاء الصراع ليس باتّفاق ومصالحة تاريخيّين يؤدّيان إلى نزع كولونيالية المحتلّ [الفاعل] والمحتلّ [المفعول] على حدّ السواء، لا بل بإخضاع الجانب الفلسطينيّ بالكامل، وبتعميق كارثيّ لعمليّات كولونيالية فلسطين – أرض إسرائيل.

ترجمه من العبرية: أسعد عودة

الهوامش

1. Charles S. Maier, "Consigning the Twentieth Century to History: Alternative Narratives for the Modern Era," *American Historical Review* 165, no. 3 (June 2000), 807-831
2. Michael Rothberg, *Multidirectional Memory* Stanford: Stanford University Press 2009.
3. Omar Kamil, *Der Holocaust im Arabischen Gedächtnis: Eine Diskursgeschichte 1945-1967* (Göttingen: Vandenhoeck and Ruprecht, 2012) عن سارتر ص. ٨٧-١٢٦
4. Patrick Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native," *Journal of Genocide Research* 8, no. 4 (2006): 387-409
5. Tony Judt, *Postwar: a history of Europe since 1945* (New York: Penguin Press, 2005)
6. Alon Confino, *Foundational Pasts: The Holocaust as Historical Understanding*, (New York: Cambridge University Press, 2012)
7. Daniel Levy and Natan Sznaider, *The Holocaust and memory in the global age* (Philadelphia: Temple University Press, 2006)
8. https://www.haaretz.co.il/misc/1.1558794
9. http://humanrightsvoices.org/assets/attachments/documents/durban_ngo_declaration_2001.pdf
10. Tom Lantos, "The Durban Debacle: An Insider's View of the World Racism Conference at Durban", *The Fletcher Forum of World Affairs*, Winter Spring 2002, p. 16
11. https://www.ngo-monitor.org/about/faqs/
12. https://bdsmovement.net/
13. https://www.un.org/en/holocaustremembrance/docs/res607.shtml

١٤. التسجيل موجود لديّ.

١٥. قد يكون الشاذّ الوحيد هو أقوال الجنرال يائير چغولان في يوم المحرقة الإسرائيليّ (ليس الدوليّ) https://www.haaretz.com/israel-news/idf-general-likens-trends-in-israeli-society-to-pre-holocaust-germany-1.5379620

١٦. لوصف عملية تطوّر التعريف انظروا: https://electronicintifada.net/content/israel-lobby-uses-discredited-anti-semitism-definition-muzzle-debate/11716 وكذلك انظروا شهادة كنث سترن أمام اللجنة القضائية لمجلس النوّاب الأميركيّ، يوم ٧ تشرين الثاني 2017https://docs.house.gov/meetings/JU/JU00/20171107/106610/HHRG-115-JU00-Wstate-SternK-20171107.pdf

١٧. صيغة أوّلية للتعريف من عام ٢٠٠٥ انظروا هنا: https://www.antisem.eu/projects/eumc-working-definition-of-antisemitism/ صيغة مختلفة بعض الشيء استخدمتها وزارة الخارجية الأميركية، انظروا https://2009-2017.state.gov/documents/organization/156684.pdf

18. https://www.holocaustremembrance.c.om/

١٩. انظروا خطابها في الكنيست في ١٨ آذار ٢٠٠٨. https://www.knesset.gov.il/description/eng/doc/speech_merkel_2008_eng.pdf

٢٠. مقتبس في مقال كارولينا لندسمان في «هآرتس» - «فلسطينيّ = لاساميّ». https://www.haaretz.co.il/opinions/premium-1.8227012

21. https://www.noihra.ca/

٢٢ أنا محسوب على مجموعة نشطاء بادرت إلى رسالة علنية وقّعها ٣٧ يهوديًّا معروفًا، كثير منهم إسرائيليّون، نادت - في أعقاب ذلك - إلى إقالة فليكس كلاين. وقد أشعلت هذه الرسالة إلى حدّ كبير النقاش في ألمانيا. https://www.scribd.com/document/459345514/Call-on-German-Minister-Seehofer

23. Bashir Bashir and Amos Goldberg (eds.), *The Holocaust and the Nakba: A New Grammar of Trauma and History*, (New Haven: Columbia University Press, 2019).
24. https://www.youtube.com/watch?v=aa75QeS1xaQ&feature=youtu.be